

قراءة الأبجديات

سبع أوراق بحثية وسبع شهادات في الترجمة



قراءة الأبجديات

هذا الكتاب من إصدارات هيئة الشارقة للكتاب، وهو توثيق للندوة الدولية الأولى لمجلة "الناشر الأسبوعي" ضمن فعاليات الدورة الحادية والأربعين من معرض الشارقة الدولي للكتاب، في العام 2022. تلتقي في الكتاب جهود سبعة مؤلفين يجمعون بين الكتابة الأدبية، شعراً وسرداً، والترجمة والبحث والنقد، عبر سبع أوراق بحثية، وسبع شهادات شخصية عن تجاربهم الترجمة: الدكتور مزوار الإدريسي (المغرب)، الدكتور هاتف جنابي (العراق / المملكة المتحدة)، الدكتورة نويي فيزو (إسبانيا)، الدكتور طلعت شاهين (مصر / إسبانيا)، الدكتور وليد السويركي (الأردن / فلسطين)، الدكتورة آمال بشيري (الجزائر)، الدكتور عبد الهادي سعدون (العراق / إسبانيا).

إعداد: علي العامري

قراءة الأبجديات

سبع أوراق بحثية وسبع شهادات في الترجمة

قراءة الأبيديات

سبع أوراق بحثية وسبع شهادات في الترجمة

إعداد: علي العامري

الندوة الدولية الأولى لمجلة "الناشر الأسبوعي"

معرض الشارقة الدولي للكتاب 2022

هيئة الشارقة للكتاب

الفهرس

- 9 - كلمة عابرة للحدود
- 11 - مقدمة الكتاب
- 17 - الترجمة.. مرآة لقراءة الأبجديات
- 29 - الترجمة بين الأصل واللغة الثالثة
- 49 - أهمية الترجمة
- 53 - الترجمة و"دون كيخوت"
- 59 - الترجمة جسراً بين الثقافات.. نعم ولكن!
- 67 - الترجمة في الوطن العربي.. إنجازات وتحديات
- 77 - الترجمة بين العربية والإسبانية.. التوافق والاختلاف
- 91 - في ضيافة الترجمة
- 97 - من مطبخ المترجم
- 101 - تجربة الترجمة
- 109 - حكايتي مع الترجمة .. هواية اختارتنني
- 113 - شذرات وتأملات في الترجمة
- 119 - تجربة في الترجمة
- 123 - تجربتي في الترجمة



إصدارات: هيئة الشارقة للكتاب - حكومة الشارقة

هاتف: 0097165140000

براق: 0097165140111

البريد الإلكتروني: info@sibf.com

صندوق بريد: 73111 - الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة

عنوان الكتاب: قرابة الأبجديات.. سبع أوراق بحثية وسبع شهادات في الترجمة

تأليف جماعي

إعداد: علي العامري

الطبعة الأولى 2022

جميع الحقوق محفوظة ©

الغلاف: تفصيل من لوحة للفنان ضياء العزاوي

الترقيم المعياري الدولي:

المشاركون في الكتاب

- الدكتور مزوار الإدريسي (المغرب)
- الدكتور هاتف جنابي (العراق / المملكة المتحدة)
- الدكتورة نويمي فيزو (إسبانيا)
- الدكتور طلعت شاهين (مصر / إسبانيا)
- الدكتور وليد السويركي (الأردن / فلسطين)
- الدكتورة آمال بشيري (الجزائر)
- الدكتور عبد الهادي سعدون (العراق / إسبانيا)

كلمة عابرة للحدود

منذ البدء، كانت الكلمة ضوءاً لا ينضب لكل الحضارات التي شيّدتها البشرية. وفي البدء، كان الإنسان يبحث عن أشكال للتعبير عن الذات والجماعة الصغيرة والظواهر الأرضية والسماوية.

مرّت الكلمة برحلة طويلة. بدءاً من الشكل الشفهي، مروراً بالنقوش التصويرية، ثم الأبجدية التي كانت ثورة في التفكير، وأعظم اختراع للبشرية. ومع تعددية المجتمعات، تعددت الألسن، فكان الترجمان همزة الوصل بين الأقوام. ومن المعروف أنّ للترجمة دوراً كبيراً في صعود نجوم الحضارات، والأدلة التاريخية كثيرة، ومن بينها الحضارة العربية الإسلامية التي أشرقت شمس كلمتها على العالم.

وتأتي الدورة الـ 41، من معرض الشارقة الدولي للكتاب 2022، تحت شعار "كلمة للعالم". إذ توجّه إمارة الشارقة "العاصمة الثقافية" كلمة عربية مضيئة إلى العالم، يُترجمها إلى كل اللغات، مشروع الشارقة الثقافي التنويري والنهضوي الذي يقوده ويرعاه صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، منذ خمسة عقود. ومن الشارقة، عاصمة الكلمة، تنطلق الكلمة العابرة للحدود، لتصل إلى ضفاف جديدة، وإلى الآخر الإنساني، حليف الحياة والحقّ والحريّة والعدالة والجمال.

وفي هذا السياق، تأتي الندوة الدولية الأولى لمجلة "الناشر الأسبوعي"،

مقدمة الكتاب

يجمع كتاب "قراءة الأبجديات" رؤى وشهادات في الترجمة لسبعة من المشتغلين بالكتابة، تأليفاً وترجمةً وتنظيراً أيضاً. ويأتي الكتاب توثيقاً للندوة الدولية الأولى لمجلة "الناشر الأسبوعي" التي تنظمها هيئة الشارقة للكتاب خلال معرض الشارقة الدولي للكتاب 2022. كما يأتي تأكيداً على أهمية التوثيق لثمرة العقول السبعة، ليغدو مصدراً للقرّاء والباحثين وطلاب المعرفة. ويُعدّ الكتاب جزءاً من سياق التوثيق لمفردات مشروع الشارقة الثقافي الذي يشكّل خريطة طريق للحاضر والمستقبل، وفي الوقت ذاته بوصلة للهوية الثقافية في سيرورتها الحيوية، بوصفها إحدى علامات الوجود الفاعل والمتفاعل.

أما ما يتعلق بعنوان الكتاب "قراءة الأبجديات"، فهو يركّز على المشترك الإنساني، من خلال الأنظمة اللغوية المتعددة التي تنطوي على جوهر تكوييني لهذا المشترك، مع تقدير التنوع والاختلاف والمغايرة وحتى الغرابة أيضاً. إذ إن كلمة "قراءة" لا تعني المطابقة، أو الصورة المرآوية أو الطبعة المنسوخة، لكنها تشير إلى الصوت الإنساني المشترك بوصفه علامة أولى قابلة للتأويل، وفي الوقت ذاته تشير إلى جذور القرابة بين أبجديات اللغات المتعددة التي أسهمت عوامل متراكمة في صياغة طبائعها البنيوية والصوتية والدلالية والتركييبية، وبالتالي اختلافها الذي لا ينمحي. هذا التنوع ضمن وحدة "الحرف" أو "الصوت" يعبر عن التنوع الثقافي والاختلاف اللغوي، لكن في أرض "مشتركة". وتكشف اللغات عن شخصياتها وخصوصياتها وعن هويّات شعوبها أيضاً، إذ إن "تاريخ لغات العالم يمكن أن يُعبّر ببلاغة عن الشخصية الحقيقية للشعوب، وحركاتها الماضية، وتغييراتها. كما أنه يُقدّم بعض التلميحات العريضة للمستقبل"، وفق مؤلف "إمبراطوريات الكلمة"

التي تنظمها هيئة الشارقة للكتاب ضمن فعاليات معرض الشارقة الدولي للكتاب، إضافة نوعية جديدة في برنامج المعرض، ونقله جديدة في دور المجلة واتساع نطاق فعلها الثقافي. وتجمع ندوة هذا العام نخبة متميزة من الأدباء والمترجمين والباحثين، الذين يمثلون ثماني دول، ويقدمون سبع أوراق بحثية، وسبع شهادات شخصية في الترجمة، تضيء على دور الترجمة والتحديات التي يواجهها المشتغلون في هذا الحقل الحيوي والبالغ الأهمية. كما تقدم اقتراحات جديدة بالاهتمام لتفعيل طاقة الترجمة المتبادلة في الوطن العربي، بين الثقافة العربية وبقية الثقافات في العالم.

أحمد بن ركاض العامري

رئيس هيئة الشارقة للكتاب

رئيس تحرير مجلة "الناشر الأسبوعي"

نيكولاس أوستلر.

من هنا، تختلف زوايا النظر في الترجمة وتتعدد، لدى المشاركين السبعة في الكتاب، مثلما تنوع شهاداتهم عن تجاربهم الترجمة. لكنهم يؤكدون أهمية الترجمة في كل العصور، وخصوصاً في نهضة الحضارات، وفي الوقت نفسه يشيرون إلى "الجانب المظلم" من الترجمة حين تتحول إلى أداة للاستبداد والاحتلال والهيمنة والاستعمار. في حين أن الترجمة في فعلها الثقافي التنويري الإنساني توسع فضاء التعايش وفق مبادئ الاحترام والتكافؤ والحوار الأفقي وليس التراتبي. كما تسهم في تعزيز "عدالة معرفية"، بمعنى تبادل المعارف والتجارب والخبرات والإبداعات، بين لغة وأخرى، وبين أرض وأخرى، وبين شعب وآخر.

في الكتاب، يتناول الدكتور مزوار الإدريسي مفهوم الترجمة بوصفها "ضباية" لغة للغة أخرى. ويشير إلى "تدويب" أو "تغيب" أصول نصوص تهاجر إلى لغات الآخرين، مؤكداً أن "أشكالاً كتابية عربية قد التقطتها الثقافة الغربية وصهرتها من دون أن تُصَرِّح بأصولها، ويكفي أن نذكر مثلاً على ذلك ما آلت إليه (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري، التي استُقبلت في أوروبا مُترجمة، من دون شك، استناداً إلى أدلة دامغة أوردتها المُستعرب الإسباني ميغيل أسين بلاسيوس، واستلهمت فتولّد عن التفاعل معها عملٌ إنساني خالد هو (الكوميديا الإلهية) للشاعر دانتي أليغييري، لتتكشف لنا قرابةً أبجديةً أخرى".

وفي شهادته عن تجربته الترجمة، يعترف بأن "للترجمة غوايتها، إذ كثيراً ما تستوقفي نصوصاً أجدها ممتعة، فأبادر إلى ترجمتها رغبةً في تقاسم فائدتها مع جمهور أتصوّرهُ سيحتفي بها، وفعلاً ذلك ما يحدث في الغالب".

يعرض الدكتور هاتف جنابي مسارات تاريخية للترجمة، مبيّناً أن العرب انتبهوا مبكراً إلى أسس الترجمة، مشيراً إلى دعوة الجاحظ إلى "ضرورة سبك المضمون بأسلوب عربي سليم ليكون الكتاب كأنما كُتب باللغة العربية".

ويؤكد أن "معظم أفكار وملاحظات الجاحظ لا تزال حاضرة في بعض الدراسات الراهنة، بما في ذلك تلك التي يقوم بها الجيل الجديد من الباحثين في مجال الترجمة دون أن يعوا بأنهم يطرحون آراء سابقة، أو ربما أنهم يتجاهلون عن قصد مبدأ الأسبقية لهذا السبب أو ذلك".

ويقول في شهادته "إذا كان عليّ أن أقول شيئاً منتزِعاً من مطبخ الترجمة الشخصي، لقلت: إنني تعلمت في السنوات الأخيرة أكثر من ذي قبل، من نفسي وأخطائي وكذلك من أخطاء وتجارب الآخرين وسيرهم".

تحدث الدكتورة نويبي فيرو عن امثال الكتاب المترجم "لقوانين السوق مهما أردنا أن نرفع من قيمته بوصفه نتاجاً ثقافياً بحتاً". وتتناول أهمية الترجمة "بتوسيع آفاق الأفراد وجعلهم أكثر انفتاحاً حين أقول هذا أفكر على وجه الخصوص بالإبداع عموماً وبالآداب خصوصاً. إذ تتيح لنا الترجمة اكتشاف أنماط سلوك أخرى قد تكون مختلفة عن أنماط سلوكنا، ولكن الأهم من ذلك هو أن الترجمة تفسح لنا المجال للوقوف أمام مرآة توقّر لنا طريقة رائعة لمعرفة الآخر ومعرفة الذات في الوقت نفسه".

وفي شهادتها في الترجمة، تؤكد أن "مهنتنا، على نقبض غيرها من المهن، تتطلب منا أن نبقي (في الظل)، بمعنى أن نكون مختبئين دائماً قدر المستطاع. هذا هو المطلوب، ومن يبدأ في الترجمة يكتشف ذلك سريعاً".

في كتاب "قرابة الأبجديات"، يتناول الدكتور طلعت شاهين دور الترجمة في شهرة رائعة ثريانتيس "دون كيخوت" وانتشارها، مؤكداً في الوقت نفسه أن الكاتب لجأ إلى "خدعة (الترجمة) لينفي عن نفسه مسبقاً أيّ اتهام قد يُوجّه إليه إذا ما قابل هذا العمل استهجاناً من الجمهور، بل والدولة التي كان يخشاها بعد فشله في خدمتها وتسلق مناصبها، فقد ذكر ثريانتيس في أكثر من موضع، ولأسباب عدة أن هذا العمل منقول أو مترجم عن مخطوط لكاتب (موريسكي) هو (سيدي حامد بن الجيلي)، وإن كان هذا في رأينا راجعاً لحيلة فنية".

ويقول في شهادته "تسهيلاً للتواصل بين الأعمال التي أترجمها والقارئ العربي، قررت أن أقدم كل ترجمة بمقدمة وافية تقدّم له مفاتيح مهمة لفهمها والتعامل معها، فلا يوجد كتاب واحد ترجمته دون أن أقدمه للقارئ بمعلومات مهمة مفيدة في مقدمة وافية".

يسلّط الدكتور وليد السويركي الضوء على المؤثرات والدوافع التي "تحركت" الترجمة، قائلاً "الترجمة لا تحدث في الفراغ، وليست دائماً فعلاً تقنياً محايداً وبريئاً، يقع خارج السياق الثقافي والتاريخي، أو خارج علاقات القوة، بل هي تندرج في سياق مُعولم، لا يزال يشهد آثار التجربة الاستعمارية الماضية، وأشكالاً جديدة من الهيمنة الثقافية والاقتصادية، بما يتجاوز ذات المترجم، وتتداخل فيه تأثيرات وعلاقات وصراعات تضمّ شبكات واسعة من الفاعلين". ويتابع "التاريخ كما الحاضر يشهدان بأن الترجمة قد تكون أيضاً أداة في خدمة الهيمنة".

ويقول في شهادته عن تجربته "أترجم لأخرج مّي، لألقاني في مرآة الآخر، لأوسّع حدود ذاتي ولغتي، وكما أكتشفهما مجدداً في غرابتهما التي يحجها طول الألفة، وأكتشف الآخر في شبهه بي وقربه مّي".

تناول الدكتورة أمال بشيري التاريخ الترجمي، مركّزة على حال الترجمة عربياً، قائلة "بلغت حركة الترجمة أوجها عند العرب في عصر الخليفة هارون الرشيد الذي أولى اهتماماً بالغاً بالمترجمين الذين كان أشهرهم حنين بن إسحق، وثابت بن قرّة، ويوحنا بن البطريق، وابن الحمصي، وابن المقفع، وذلك راجع لإتقانهم للغتين العربية والسريانية، وخبرتهم بالعلوم والمجالات التي كانوا يترجمون فيها".

وتقول في شهادتها "نحن ككتّاب عرب نرغب في أن تتخطى نصوصنا الحدود الجغرافية لتصل إلى القارئ الأجنبي. تلك الرغبة التي تواجه بكل وضوح بعدم قبول سوق الترجمة والنشر الأجنبية - وتحديداً الأوروبية - لنصوصنا إذا لم تحظَ برعاية أي عزّاب".

في الكتاب، يقول الدكتور عبد الهادي سعدون إن "تاريخ العلاقة ما بين اللغتين العربية والإسبانية من خلال الترجمة طويل ومهم وحاسم في تشكيل ثقافة وآداب أوروبا خصوصاً والغرب قاطبة. وهو دور طويل الأمد وكُتِب عنه الكثير من الدراسات والكتب. ولكن لا بد من إشارة تحيلنا للموضوع ومركزيته في تكوين الذائقة الأدبية والثقافية في إسبانيا أولاً وانتقاله إلى أنحاء أوروبا ودولها المتشكلة آنذاك لغوياً وجغرافياً".

ويرى في شهادته عن تجربته الترجمية أن "التأليف ترجمة عن نص ضائع، أو لا وجود له أصلاً قبل تدوينه، مثل نص متخيل. بينما الترجمة عملية إعادة تأليف أو كتابة عن مخطوط موجود أصلاً، يحتاج فقط إعادة النظر فيه عند نقله من لغته الأم إلى لغة المترجم نفسه".

علي العامري

مدير تحرير مجلة "الناشر الأسبوعي"

الترجمة.. مرآة لقراءة الأبجديات

الدكتور مزوار الإدريسي

لا داعي للتأكيد على أنّ الإنسان هو الكائن الوحيد الناطق، الذي يتميز عن باقي المخلوقات المعرّبة للعالم بامتلاكه هويّة، لا يخفى أنّ أصلها ثقافته، التي ينهلها داخل جماعته العرقية «الإثنية» التي تطبعه بسماتها الثقافية؛ وأنه الوحيد الذي يتوسّل بنظام لغوي رمزي معقد، يُبَسِّر له شفهيّاً وكتابياً نقل خبراته وحفظ تاريخه وصون ذكرياته والتعبير عن مشاعره، وأنه يعتمد ذلك النظام في التواصل مع أبناء ثقافته، وفي صياغة مشاريعه وأحلامه، ويستعمله في التفكير، وحتى في الاطلاع على ما تزخر به ثقافات البشر الآخرين.

والواقع أن الناس أجناس وثقافات، وأن هذا التنوع العرقي والثقافي نجم عنه تعدد في الألسن بين البشر أيضاً، لكنه لا يُنسبنا أن أصلهم من ذكر وأنثى، فكيف صاروا شعوباً وقبائل؟ وهل عرف تاريخ الإنسان لحمة أولى قبل أن يعيش البشر التشتت؟ وما الداعي إلى سعيهم إلى التعارف في ما بينهم مجدداً؟

يصعب أن نجد أجوبة يقينية عن هذه الأسئلة، لكن هذا لا ينفي وجود أجوبة تدرج ضمن السرديات الكبرى، التي لا سبيل إلى التأكد من صحتها، لكنها تزودنا بتفسير يرد أصل الشتات إلى أسطورة مدينة بابل، جامعة الناس، وفق ما يُقدّم لنا في «سفر التكوين»: «هُوَ ذَا شَعْبٍ وَاحِدٍ لَجَمِيعِهِمْ، وَهَذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبْلِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ». وتوضّح الأسطورة أن سكان بابل، بعدما تفرّقوا وحكّم عليهم ببليّة ألسنتهم؛ هاموا

على وجه البسيطة مُسْتَتَيْن، لكنهم لم يَكْفُوا عن التفكير في بابل الأولى مركز الأرض ونعيمهم الأول، ولازَمَهُم الحنين إلى استعادتهم إياها ولو رمزياً، فتبنوا الإقامة في بابل أخرى رمزية، تحقيقاً لبعض من لحظات السعادة التي عاشوها، والتي تميّزت بسلسلة التواصل في ما بينهم، فكّدوا بحثاً عن بديل يُعيد إليهم تلك الوحدة الأولى.

لقد عمل الخيال البشري - حسب رولان بارث - كي: «تنقلب أسطورة بابل القديمة، ويتخلى احتلاط اللغات عن كونه بلبله، فالذات تَبْلُغ المتعة عبر تعايش اللغات، التي تشتغل جنباً إلى جنب: نص اللذة هو بابل السعيدة»¹. لقد وجد البشر البديل مُجسّداً في أبجدية اللغة، التي لا ننسى أن الفيلسوف هايدغر اعتبرها "ماوى الكائن"، ويبدو أنهم انتهوا إلى العثور على مُعادِل للغة المشتركة الأولى، مُمثلاً في الترجمة بصفها «الرأس الأوحده للتأويل وللإنجاز اللغوي»²، وباعتبارها سبيلاً إلى العود الأصلي أو العود الأبدي وفق تعريف نيته، لأنها تُعيد التواصل البشري إلى سيرته الأولى، لكن على غير ما كان عليه في أوّله.

وتتعرّز مع توالي الأيام هذه الفكرة، فقد انتبه السيميائي أمبرتو إيكو إلى أنّ «لغة أوروبا هي الترجمة»³، لتمكّنها من لَمّ الشتات اللساني للاتحاد الأوروبي تحت رايتها، وإن كان التعبير قد خانته، لأن الأکید هو أن الوقوف على اللغة وتبنيها متعديراً، وأن ما يُصادفهُ الإنسان هو اللسان، وقد كانت الفيلسوفة كاسان حصيفة لما قالت: «لم ألتق باللغة أبداً، لقد التقيتُ بالألسن فقط»⁴، لتوضّح أن الترجمة باعتبارها نشاطاً ذهنياً، لها أبجدية تُعبّر عن ذاتها في صورة لسانية، لأننا في هذا الواقع «نحن بحاجة اليوم، وفي عالم الواقع، إلى

التفكير من خلال الألسن، ومحاولة التفكير بالألسن»⁵.

ويؤكّد جورج ستاينر على الفكرة نفسها بقوله: «توجد الترجمة لأن البشر يتكلمون ألسنة مختلفة»⁶. وبما أن الإنسان في اتصال دائم مع غيره، فإن قدره يجعله مُجبراً على أن يستقبل رسائل كتابية وأن يُبعث أخرى، فيخوض في فعل الترجمة تلقائياً، دون أن ينتبه إلى أنه يُزاولها، نظراً لتحوّلها إلى ممارسة يومية طبيعية. وهكذا، تُبرزُ الترجمة ذاتها لسانياً، ولسانياً تتبنى القرابة رؤية وفلسفة في سعي حثيث وتطلّع نبيل إلى الحياة الجيدة والخيرة، وفق تعبير بول ريكور: «مع الآخر ومن أجله في إطار مؤسّسات عادلة»⁷؛ أي ما يُعرّف لديه في فلسفته بالاستهداف الأخلاقي، الذي أركانه الثلاثة: 1. التطلّع إلى الحياة الجيدة والخيرة 2. مع الآخرين 3. في إطار مجتمع مؤسسات عادلة⁸.

وبتيمناً لي أنّ الاقتناع ذاته كان الشاعر الألماني غوته (1749 - 1832) سبباً قوياً إليه، قبل قرنين، لما دعا إلى كتابة تاريخ للأدب الإنساني، صدوراً منه عن وعي رومانسي، فكان أن ارتأى أنّ السبيل إلى كتابة ذلك التاريخ هو كتابة تواريخ إقليمية لهذا الأدب، يُشكّل من تجميعها التاريخ الإنساني للأدب العالمي، في مختلف العلوم والفنون. كذلك يُستشف من دعوة غوته رهائنه على الترجمة، لما لها من دور حاسم لا محالة في تقديم الأدب الغريب بأنواعه وأشكاله وجمالياته وقيمه ورؤاه. صحيح أنّ بعض الأدباء والقراء بوسعهم أن يقرأوا بلسان غير لسانهم الأصلي، فيفيدوا من الآخر، ولكن الأغلبية الساحقة تُضطرّ إلى الاعتماد على الترجمة وسيطاً للاقتراب من ثقافات

5- كاسان، باربارا، مديح الترجمة، ص 23.

6-Steiner, George. Después de Babel: aspectos del lenguaje y la traducción. Fondo de

Cultura Económica- México. primera edición en español, 1960. p69. 6

7 ريكور، بول، الذات عيناها كآخر. ترجمة وتقديم وتعليق: د. جورج عيتاني. المنظمة العربية للترجمة،

بيروت، لبنان، 2005، الطبعة الأولى، ص 346

8 نفسه، ص 346

1- بارت، رولان: لذة النص، ص 10.

2- كاسان، باربارا، مديح الترجمة، ص 18.

3- جريدة إلبايس، 17 أبريل/ نيسان، 2004.

4- كاسان، باربارا، مديح الترجمة، ص 23.

لفتت إليه الانتباه فيرجينيا وولف؛ الروائية الإنجليزية عند استشهادها بحال كُتّاب روسيا العظماء أمثال تولستوي ودوستويفسكي وتشخوف الذين «لم تتسنّ في السنوات الأخيرة سوى لواحد أو ربما اثنين من الإنجليز قراءتهم بالروسية، وأنّ تقديرنا لقيمتهم شكّلناهم عنهم بوساطة نُقاد لم يقرأوا كلمة بالروسية أبداً، ولم يروا روسياً أبداً، وأبداً لم يسمعوا تلك اللغة تُتحدّث من قِبل سكانها الأصليين أيضاً؛ وأنه كان علينا أن نرتهن، في عى وضمنياً، إلى عمل المترجمين».

ويتأكّد من كلام فيرجينيا وولف أن القرابة بين الثقافات وسيلتها وفضاؤها الترجمة، في الآن ذاته، فالترجمة هي نشاط لغوي وثقافي يهتم بنقل وتحويل وتأويل وإعادة كتابة أبعاديات تتشكّل منها نصوص، لا تنحصر في أصوات وحروف وكلمات تُتعلّم ويحصل بها التواصل، وإلا لكانت القواميس كافية للقيام بالمهمة من دون تعب، لأنه يكفي المترجم وقتها أن يعارض كلمة بمقابلها في القاموس، فينتهي من دون عناء شديد إلى ترجمة دقيقة للنص المصدر بنقله إلى لغة أخرى في يسر كبير.

تقدّم الترجمة ذاتها بصفته تفاعلاً «كيميائياً» معقداً لنظام لغوي ذي حمولة ثقافية متنوعة، معبأة بأساليب جمالية متنوعة من استعارات وكنائيات وأمثال وتراكيب وعبارات مسكوكة وإيقاعات وأفكار ورؤية للعالم، تروم التعرف إلى الأغيار، الذين يجمعنا بهم كوكبنا الأرضي، بما يعتمل فيه من لغات وثقافات، فتسّهل علينا التعرف إليهم، وفي الوقت ذاته تنوّج التعريف بالذات أيضاً لدى أولئك الأغيار، لأنه لا وعي يتحقّق بالذات إلا عند وقوفها على المختلف عنها.

ويُخطئ من يتصوّر أن مهمة الترجمة تقتصر على اكتشاف الغريب فقط، فتاريخنا العربي الإسلامي، خلال العصور الوسطى، لقننا دروساً بليغة بخصوص الغاية من الاسترفاد من المعين الثقافي للأمم التي التحقّت بركبنا الحضاري، أو التي كُنّا على تماسّ معها في تدافع حضاري إيجابي، نجم عنه

هكذا، تُيسّر الترجمة التلاقح الثقافي، بالتفاعل مع آداب الأمم الأخرى وبالتعرّف إلى مجتمعاتها ومزاجها وتجاربها، وبتمكينها من الاطلاع على مُنجزنا الإبداعي والفني، بل إن الأدب كثيراً ما يجعلنا نرى المجتمع من خلال أعمال أدبائه وفنانيه ومُفكره، فعلى سبيل المثال، استطاعت رواية «دون كيخوت» لمؤلفها ثرانتيس أن ترسّم للمجتمع الإسباني صورة، في ضوءها ينظر العالم إلى الإسبان، مثلما أنّ «ألف ليلة وليلة» رسّخت في الذهن الغربي صورة عن العرب. غير أن هناك من يؤكّد على أن «القرابة تظهر بين اللغات في الترجمة بطريقة أكثر حدّة وحسماً منه في التشابه السطحي وغير المحدّد بين عمليّين أدبيين»⁹. وبيّن والتر بنيامين هذا الطرح بشكل أوضح عند إلحاحه على عدم الخلط بين اللغات والأدب، بقوله: «إذا كان صحيحاً أن القرابة بين اللغات في الترجمة تكون ملموسة، فاللائق أن نُضيف أنها لا تحافظ على أيّ علاقة مع التشابه الغامض الموجود بين النسخة والأصل. ويُستنتج من هذا أن القرابة لا تتضمّن بالقوة التشابها»¹⁰.

ولا غرو أنّ الترجمة هي السبيل الممهّد للتعرف إلى الغريب، فيها يتحقق التقارب بين الثقافات ذات الألسنة المختلفة، ثم إن فلسفة اللغة تقبل، حسب ستاينر، بكون «البنية الأساسية للغة عالمية ومشاركة بين جميع الناس، وأن الاختلافات بين اللغات البشرية سطحية فقط. الترجمة مقبولة على وجه التحديد لأنه من الممكن التعرف إلى العمل ورؤيته في جميع اللغات، بغض النظر عن أشكالها السطحية المفردة أو الغريبة»¹¹. وذلك ما

9 -Benjami, Walter. La tarea del traductor. (1923). Angelus Novus. Barcelona, 1971, p 132.

10 -Benjami, Walter. La tarea del traductor. (1923). Angelus Novus. Barcelona, 1971, p 134.

11- Steiner, George. Después de Babel: aspectos del lenguaje y la traducción. Fondo de Cultura Económica- México. primera edición en español, 1960, p 95.

تلاقح ثقافي باهر، في الحياة بكل مظاهرها، خصوصاً الأدبية، حيث ضحّت أبجديات الشعوب الأخرى، في فنوننا عند نقلها إلى اللغة العربية، شحنات دافعة لأدبنا العربي، تُفصح عنها مؤلفات من قبيل كتابي «كليلة ودمنة» و«ألف ليلة وليلة»، اللذين تملكتهما الأبجدية العربية، فصارا يُنسبان إليها.

ولا يتردد الغربيون في الاعتراف من جهتهم، على لسان الألماني فريدريش شليغل، بالتأثير القوي للثقافة العربية على آدابهم، فقد ذهب إلى أنه «بمجيء الألمان تدفّق على أوروبا، نبع خالص من الأغاني البطولية الجديدة، ومكّ اصطدمت القوة الوحشية للشعر القوطي بتأثير العرب، برنين الحكايات الساحرة للشرق، ازدهر في الساحل الجنوبي، حول البحر الأبيض المتوسط، مُنتج مَرَحٍ لمبدعي أغاني حلوة وقصص مُتفرّدة، إما بشكل، وإما بشكل آخر، فانتشرت رفقة الأسطورة اللاتينية المقدسة الغنائية الرومانسية الدنيوية، التي كانت تغنى بالحب والأسلحة»¹².

ولعلّ الشحنة القوية لذلك التفاعل والتلاقح هو ما دفع شليغل - في المقطع 229، من «الأنيوم»، الوارد ضمن كتاب «المطلق الأدبي» الذي أصدره نصوصه مترجمة عن الألمانية المُفكران الفرنسيان فليب لاکو لبارت وجان لوك نانسي - إلى إصدار حكم نقدي قاسٍ في حق العرب، بقوله: «العرب لديهم طبيعة مثيرة للجدل إلى حد كبير، وهوسهم بتدمير الأصول، أو التخلص منها بمجرد الانتهاء من الترجمة، يُميّز روح فلسفت»¹³.

ويبدو أن شليغل لم ينتبه إلى أن أشكالاً كتابية عربية قد التقطتها الثقافة الغربية وصهرتها من دون أن تُصرّح بأصولها، ويكفي أن نذكر مثلاً على ذلك ما آلت إليه «رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري، التي استقبلت في أوروبا مُترجمة، من دون شك، استناداً إلى أدلة دامغة أوردها المُستعرب الإسباني ميغيل أسين بلاسيوس، واستلهمت فتولّد عن التفاعل معها عملٌ

إنساني خالد هو «الكوميديا الإلهية» للشاعر دانتي أليغييري، لتتكشف لنا قرابةً أبجديةً أخرى، لعلّها تلك التي أشارت إليها باربارا كاسان بقولها: «جميع النصوص التي نقرأها اليوم، ليس فقط (عوليس) لجيمس جويس، هي نصوص تنسج نصوصاً أخرى من جديد: هذا ما يعنيه تعلّم القراءة»¹⁴. وهذا ما يعنيه أيضاً حضور الترجمة. والمؤسف أننا لا ننتبه إلى حضور الترجمة في حياتنا اليومية بتفاصيلها المختلفة ومظاهرها المتنوعة، ولعل السبب هو شدة حضورها الذي يكاد يُصيرها «غير مرئية»، ولا يغيب عنا أن من شدة الظهور الخفاء، مثلما قيل قديماً.

تُروّج الترجمة لقيّم نبيلة لعلّ مُعظمها قد أجملها الفرنسي بول ريكو في ما عرّفه بـ «الاستهداف الأخلاقي»، لتكون دالة على «استثمار في المستقبل بالمعنى النبيل والمعنى المالي»¹⁵. نحن لا ننكر أن الترجمة وُظفّت ولا تزال تُوظّف في مهمات غير أخلاقية، ومع ذلك فإن المعروف عنها أنها نشاط مهم يُوكّل إلى شخص المترجم، الذي يروم تيسير التواصل الثقافي بين طرفين أو أكثر، فيتجاوز دور الناقل الآلي أو الناسخ، ويتخطى دور مُعيد الصياغة ليجلّي إسهامها في تحقيق التفاهم بين الشعوب ودعم التقارب بين أفرادها، في سعي حثيث إلى نشر قيم المحبة والتفاهم والتفهم، وفي التعريف بأعمال المؤلف الأصلي بامتياز، لأنها تذيب عمله بين كثيرين، بحيث لا يقتصر إشعاعه على أبناء ثقافته وحدهم، وعلى أهل زمن بعينه، بل يصل إلى ثقافات عديدة بعدد اللغات التي يُترجم إليها، فتُدخله محراب الخلود، لأنها تجعله يخترق الأزمنة والأمكنة.

لقد التزم المترجم دوماً بنشاطه الوسيط، عبر الوصل بين الثقافات والألسنة المتعدّدة والمختلفة، فالمعروف أنّ الكتاب إذا كانوا صانعي أدب أمّتهم، وفُقّ ساراماغو، فإنّ المترجمين يصنعون الأدب العالمي، أي إنهم

14- كاسان، باربارا، مديح الترجمة، ص 16.

15- كاسان، باربارا، مديح الترجمة، ص 15.

12- El absoluto literario, p 371

13- El absoluto literario, p 169

يُوسعون دائرة استقبال الأدب عبر إعادة كتابته وإذاعته بين قُرّاء المعمور، مما يجعلهم، حسب اعتراف صريح من لوفيفر «فئةً يساوي دورها في الأقلّ، إن لم نقل يفوق، دور الكُتّاب أنفسهم»¹⁶.

الحقيقة هي أن المترجم يصهر الأفاق الجمالية والفكرية لشعوب الأرض في تجسيد فعلي لثقافة الاعتراف، لأن كلّ ترجمة لنص هي إقرار بقيمة المنقول وبإمكان تقديمه إضافات إلى الثقافة المُضيفة، ولا يخفى أن هذا هو جوهر الاعتراف بما لدى الغير، وباستطاعته التأثير في قرائه في غير لسانه الأصلي، أو إفادتهم أو فتح حوار معهم، ولعل قمة ذلك الاعتراف هو انصراف المترجم وسعيه في أغلب الحالات إلى التماهي مع نصّ المبدع الأصلي، في محاولة لإظهاره في أحسن صورة، وفي تعبير منه صريح عن الاعتبار الذي يُوليه إياه، كما أنّ قمة الاعتراف أيضاً هي أن يُخصّص قُرّاء الترجمة وقتهم ومالهم لقراءتها، في اعتراف منهم أيضاً بحق الغير عليهم.

ويصل الاعتراف منتهاه عند تبني الدول سياسة الترجمة في المجال الثقافي؛ بسهرها من خلال مؤسساتها المتنوعة على ترسيخ مثل هذه القيمة في مجتمعاتها، الشيء الذي يُقدّم فكرة عن درجة الوعي المتقدم لدى قادتها، ويُعبر عن اعتراف الدولة بهذه الممارسة الثقافية، عبر إنشائها مؤسسات تُعنى بها وتُشجّع عليها، ذلك أن الدولة بإنشائها مؤسسات جامعية متخصصة في الترجمة، وبتمويلها لمراكز علمية تنكب على ترجمة أدب مُبدعيها إلى اللغات المحليّة والأجنبية، وعلى نقل الفكر والأدب العالميّين إلى لغتها أو لغاتها، وبتخصيصها جوائز في الترجمة للمترجمين ولدور النشر التي تبني مشاريع الترجمة، تروج لإنتاجها الرسمي الأدبي والفكري، وتقديّم صورة متنوّرة عن نظامها السياسي ومجتمعها باعتبارهما مجالاً ديموقراطياً ومتفتّحاً، وفضاء للتنوّع، لا يتردّد في استضافة الغير والإفادة منه من دون تهيب أو توجس،

فتكشف بذلك عن إيمانها بالاختلاف، واعترافها بالترجمة مدخلاً رئيساً إليه تُستحضره استراتيجيتها السياسية.

لا يغيب عنّا أن الأصل في النص المترجم أنه غريب أو منفيّ، يُغادر تربته مُحملاً برؤية للعالم ومُشبعاً بثقافة تجعل منه آخر، ليُفد على أرض جديدة، وأنه قد يكون نصّاً تائهاً أو مهاجراً أو مسافراً أو باحثاً عن قارئه المناسب، أي عن ملاذ يلجأ إليه، وعن قارئ مجهول دوماً، مثلما يطمح أي نصّ أثناء بحثه عن ذاته - وفق والتر بنيامين - إلى العثور على مُترجمه البارِع الذي يفترض أن يضمن له حياةً أخرى في لغة وثقافة أُخريّين، وأن يتخطى صفة النسخة أو الصورة ليكون أصلاً في ذاته هو الآخر، وهي الحال التي عبّر عنها ميلان كونديرا في روايته «خفة الكائن التي لا تُحتمل» لما أشار إلى علاقة المؤلّف بمُترجمه هو الآخر، فاستحضر أسطورة أفلاطون في «المأدبة»، التي مفادها أنّ الحبّ هو الرغبة في عثور كلّ نصف على نصفه الآخر التائه عن ذاته.

والمعروف أنّ للغيرب في ثقافات العالم حقاً على مُضيفه، ويكفي أن نستحضر الآداب العملية والكتابية في قرى الضيف في ثقافة العربي، الذي كان يُؤثر ضيفه على نفسه وعلى أهله، فيُحسن وفادته رغم فاقتة أو ظروفه الصعبة، وهو الموقف الذي يتبناه المترجم والهيئات المعنية بشأن الترجمة بالسهر على الإخراج الجيد للعمل المُضاف.

فمن جهة أولى، يكون المترجم معنياً بأن يُنجز عمله في صورة لاثقة، لا تكتفي باحترام الأصل، بل تسعى إلى الارتقاء به وتجويده، وقد وجدنا بعض الكُتّاب الخُبراء بالترجمة، يمدحون عمل المُترجم شأنَ الأرجنتيني بورخيس، الذي نوّه كثيراً بمترجمه إلى الفرنسية نسطور إيبازا، نظراً لتمكّنه من التفوّق على الأصل¹⁷، ونجاحه في إعادة كتابة نصوص بورخيس تصويرياً وأسلوبياً وتأويلياً بإبداعية ما لم تخطر على بال المؤلّف الأصلي.

17- Charbonnier, Georges, El escritor y su obra, 3ª ed., trad. Martí Soler, Siglo XXI, México, 1975, p.12.

16- لوفيفر، أندريه. الترجمة وإعادة الكتابة والتحكم في السمعة الأدبية. ترجمة فلاح، رحيم. دارالكتاب الجديد المتحدة. الطبعة الأولى 2011. ص 13.

ومن جهة ثانية، تكون الهيئات ودور النشر المسؤولة عن الترجمة داخل الدول مُطالَبة بحُسن وفادة التَصّ الأصلي، من خلال مراعاة الحقوق المادية للمؤلف والمترجم، ومن خلال وضع سياسة للترجمة تُعطى فيها الأولوية للأعمال الأكثر أهمية بالنسبة إلى بلدانها، فتُعرّف بكتاباتها المحلية عبر التشجيع على ترجمتها إلى لغات العالم، وبترجمة كُتب العالم المهمة إلى لسانها، فتكون مُسهمَةً حقيقة في ترسيخ فكرة القرابة بين الثقافات، وبأن تُسهر على الإخراج الجيد للعمل في طبقات أنيقة وفي متناول القراء، لتُظهِر أن «الترجمة استثمار في المستقبل بالمعنى النبيل وبالمعنى المالي»¹⁸.

تزدهر الترجمة في المجتمعات التي لديها ثقة في ذاتها، والتي لا تهَيَّب الدخيل والغريب في مختلف تجلياته الثقافية، ولا تُحاربها بذريعة حماية الذات والدفاع عن الهوية، لأن الأخيرة ليست جامدة أو ثابتة، بل إنها في سيرورة دائبة، لا تُعرّف استقراراً، وتلك هي الحال التي كانت عليها المجتمعات العربية في القرون الوسطى إبان أوجها الحضاري الباهر، الذي جعل منها بوتقة تنصهر فيها ثقافات العالم، فكان أن أبدع ذلك اللقاء حضارة لا تزال معالمها شاهدة على عظمتها. وكما هو معلوم، فالإسهام البارز للترجمة فيها لا يخفى، لأنها كانت نافذة العرب على العلوم والفنون لدى الآخرين، وجسدتُ باللموس قرابة للأبجديات يَقلُّ نظيرُها في تاريخ البشرية، بحيث يمكننا الذهاب إلى أن بغداد مثلتُ بابل حقيقة هي غيرُ بابل الأسطورية، لأنها كانت ملتقى ألسنة العالم القديم، وكانت تعبيراً عن روح عصرها التي توسَّلتُ بالترجمة في الارتقاء بالثقافة العربية، فكان النشاط الترجمي فيها، حسب عبارة شارل لوبلان، تجسيداً و«ترجمةً للتفكير في العصر الذي تأتي منه، قبل أن تكون ترجمةً لنص من النصوص»¹⁹.

وتلك هي الحال التي عليها المجتمعات الغربية حالياً، التي تؤمن بالتنوع، ولا

تخشى القَبُول بثقافة الآخر، فهي تعتبر ما تسترفده من الثقافات الغربية إغناء لثقافتها، بحُكم أن لها ثقة في ثقافتها التي تُحصّنها بالديمقراطية، بصفتها نظاماً يُتيح لجميع مواطنها الحرية في الاختلاف ثقافياً، ما دام الجميع يُؤمنون بالديمقراطية وبالحرية الفردية والجماعية وبقِيَم الاختلاف. وهذا النظام السياسي والاجتماعي هو الذي دفع بعضهم إلى اعتبار الترجمة نشاطاً حكرًا على المجتمعات الديمقراطية وحدها، وأن ازدهارها في غيرها من المجتمعات لا يُمكن أن يكون إلا شكلياً.

يقتضي الرهانُ على الترجمة امتلاك فهمٍ لها ينطلق من اقتناع راسخ، يرى فيها مشروعاً تنويرياً حقيقياً، لا يقف عند قضايا لغوية أو أسلوبية أو تقنية فقط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في هذا النشاط من وجهة ثقافية وفلسفية ووجودية وسياسية وحتى أخلاقية، لأن حال الترجمة، وفق شارل لوبلان، "هي أولاً وقبل كل شيء مسألة تخصّ الهوية، وأن الانفتاح على الآخر في الترجمة لا يكون له أيّ معنى إذا لم تُمتلك هوية الأصل"²⁰. ويفترضُ امتلاك الأصل الإحاطة بالنظام الثقافي المحرِّك لثقافة الآخر، لأن الوعي بالنظام الثقافي للآخر في مستوياته المتنوعة يُسهِّل هذا على الهوية المُضيفة له من أن تتمكّن من العثور على نقاط التلاقي المشتركة التي تُضمّن تغيير الواقع، الذي يَطْبَعه الصراع، وإحداثِ انعطافٍ في معيش البشر وذهنيتهم، في أفق تحقيق ما عرّفه بول ريكور في فلسفته بالاستهداف الأخلاقي، الذي شعّره «مع الآخر ومن أجله في إطار مؤسّسات عادلة»²¹.

وفي انتظار تحقيق أوتوبيا عودة البشرية إلى التكلم باللغة الأولى الواحدة والموحّدة، ها نحن نعاين كيف أن الترجمة قدّمتُ ذاتها بصفتها بديلاً عملياً لا مناص منه، مُستندةً إلى وقائع مُشجّعة نلمسها في الصلّات التي أقامتها

20- لوبلان، شارل، عقدة هرمس: نظرات فلسفية في الترجمة، ترجمة وتقديم: بسام بركة (بيروت): المنظمة العربية للترجمة، نوفمبر/ تشرين الثاني (2013)، ص 13.
21- ريكور، بول، الذات عنها كآخر. ترجمة وتقديم وتعليق: د. جورج عيتاني. المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2005، الطبعة الأولى، ص 346.

18- كاسان، باربارا، مديح الترجمة، ص 15.
19- لوبلان، شارل، عقدة هرمس: نظرات فلسفية في الترجمة، ترجمة وتقديم: بسام بركة (بيروت): المنظمة العربية للترجمة، نوفمبر (2013)، ص 48.

الترجمة بين الأصل واللغة الثالثة

الدكتور هاتف جنابي

لم تعد الترجمة بحاجة إلى ذكر مزاياها والإشادة بأهميتها ودورها الثقافي والحضاري في بناء الأمم، ولذلك لن نتوقف عند ذلك إلا كتحصيل حاصل. شرعنا بكتابة هذه الورقة في شهر سبتمبر/أيلول 2022 الذي شهد الثلاثون منه "اليوم العالمي للترجمة" الذي أقره الاتحاد الدولي للمترجمين سنة 1991، وصادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 24 من مايو/أيار من العام 2017 على قرار باعتماد 30 سبتمبر/أيلول يوماً عالمياً للترجمة. وفي هذه الأوقات نشهد مرور 200 سنة على فك رموز "حجر رشيد" المصري (يعود تاريخه إلى سنة 196 قبل الميلاد) بلغات ثلاث: الهيروغليفية، اليونانية القديمة، والهيروغليفية (لغة عامة الشعب)، وهو أقدم نص مترجم مزدوج اللغة مكتشف حتى الآن، اكتشفه جندي فرنسي أثناء حملة نابليون على مصر، ثم انتقل سنة 1801 إلى بريطانيا بعد إزاحتها الفرنسيين من مصر، وعرض للمرة الأولى سنة 1802 في المتحف البريطاني.

في 30 سبتمبر/أيلول يصادف يوم وفاة (إيرونيوس) جيرونيوس من بلاد دلماسيا (347 – 420 ميلادية)، أول وأهم مترجم للكتاب المقدس إلى اللاتينية. يعني قبل أكثر من 200 سنة من الترجمة الأولى للقرآن من اللغة العربية إلى الفارسية، والتي أنجزها سلمان الفارسي (568 – 654 ميلادية).

نستحضر بعض تلك التواريخ والأحداث، لأنها تشكل فصلاً مهماً من تاريخ مسيرة الترجمة في العالم، ودليلاً على حجم جهود أصحابها من جهة، ومهنتهم وحرصهم البالغ على أهمية ومستوى ما كانوا يقومون به من جهة

بين شعوب الأرض، صلات أساسها المشاعر النبيلة والأحلام المشتركة والتعاطف ذو العمق الإنساني، والوعي بالمصير المشترك الجامع بين البشر في هذا الكوكب المتفرد.

لذلك يحقّ لنا أن نتساءل أيّ حال كان العالم سيكون عليها لولا الترجمة؟ وإلامّ كان سيؤول لولاها؟

بين الدقة والتوطين

اعتاد البعض ترديد هذه "ترجمة حرفية" وتلك "ترجمة فنية". كانت اللاتينية لغة العصور الوسطى في أوروبا، والإمبراطورية الرومانية أساساً، واللغة السائدة في الكنيسة، وإليها تمت الترجمة من اليونانية القديمة والعربية والعبرية. استندت الترجمة في أوروبا أساساً على التجربة الرومانية (نسبة إلى روما) التي اعتبرت مرجعاً بنيت في ما بعد على أساسه نظريات وتطبيقات الترجمة في اللغات الأوروبية الأخرى. حتى إن لفظ "translatio" وفعله "transfere" نقل من اللغة اللاتينية إلى اللغات الأوروبية الأخرى التي اشتقت بدائلها استناداً إلى ذلك الجذر اللغوي اللاتيني. ولو توقفنا قليلاً عند بدايات الترجمة للاحتظان أنها حاولت، بدفع من الكهنة، نقل الكتب المقدسة والوثائق والخطابات الرسمية أولاً. وبناء على ذلك، شهدت اللغة اليونانية أقدم ترجمة للعهد القديم من العبرية مباشرة (في القرن الثالث قبل الميلاد) أطلق عليها اسم "السبعينية" (نسبة إلى 72 خَبراً مترجماً) وهو، في اعتقادنا، أول عمل ترجمي جماعي في تاريخ الترجمة. إلا أن روما شهدت حركة أوسع، في مجال الترجمة، وعلى صعيد وضع مبادئها الأولى، من خلال الممارسة وانغماس كبار شعراء وكتّاب وخطباء روما فيها. عرفت خلالها الترجمة اللاتينية شكلين أو طريقتين: ترجمة حرفية: كلمة مقابل كلمة، وأخرى معنى مقابل معنى. بعبارة أخرى أنها كانت تنوس بين القواعد: من لغة وأساليب ومصطلحات، والبلاغة: من مجازات ومعاني وإحالات واستعارات. وبعد ذلك نشأت طريقة ثالثة استناداً إلى فكرة "تكيف" العمل المراد ترجمته التي وظفها بحرية أكبر مخرجو المسرح الحديث في التعامل مع النصوص المسرحية الأدبية من خلال تطويعها لمقتضيات نظرية العرض المسرحي القائمة على مهارات الممثل و"الاقتصاد اللغوي". وكمثال كلاسيكي على ذلك، يرد ذكر ترجمة "أوديسة" هوميروس من اللغة اليونانية إلى اللاتينية التي أنجزها بحرية الشاعر الروماني اليوناني الأصل ليفيوس أندرنيكوس (284 - 204 قبل الميلاد). حافظ المترجم على الأصل لكنه قام "بتوطين"

أخرى. وبما أننا جزء من هذه التجربة الإنسانية المتواترة والمتنامية فلا بد من الإشارة إلى الوجه الآخر العربي من تلك التجربة الحافلة، ووضعه في مكانته التي تليق بجهوده في الترجمة. ويتفق أغلب الدارسين العرب على أن تبشير الترجمات العربية المدونة تعود إلى القرن الثاني الميلادي، خلال العصر الأموي، بيد أنها بلغت ذروتها في العصر العباسي، في عهد الخليفة هارون الرشيد (766 - 809 ميلادية)، برعايته الشخصية وتأسيسه "خزانة الحكمة"، وابنه المأمون (786 - 833) الذي حوّلها إلى "بيت الحكمة" أي إلى مؤسسة علمية حقيقية شاملة، ومتخصصة كذلك في نقل معارف الآخرين، من مؤلفات في علم الفلك، الهندسة، الأدب، الطب، الفلسفة، المنطق، الكيمياء وسواها، وهما أقدم مؤسستين عربيتين للترجمة كانتا مفتوحتين للمهتمين. وهذا يعني أن العرب سبقوا الأوروبيين في هذا المضمار من حيث جعل الترجمة عملاً منظماً محترماً مدعوماً رسمياً وذا قيمة حضارية، ومعرفية، وثقافية، وفهموها باعتبارها السبيل الأمثل للتعرف على تجارب الآخرين وأساليب ومستوى تفكيرهم وكيفية فهمهم والتعامل معهم، ولعل خروجها عن النطاق الديني إلى الفضاء المعرفي التخصصي والإنساني أحد أهم أسرار نجاحها في تلك المراحل.

لكن، ثمة سؤال يبقى حاضراً في الذهن وبحاجة إلى جواب، أعني: هل الترجمات العربية كفعال مؤسساتي معرفي كانت تستند على قواعد وأصول خارج ما شاع في الترجمات الإغريقية واللاتينية، خاصة بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية (27 قبل الميلاد - 467 ميلادية)؟ سنترك الجواب عنه للمتخصصين في تلك المرحلة. في الحقيقة، لم نعتز على دليل ذي قيمة من شأنه أن يدعم الفكرة البدائية القائلة: إن العرب عرفوا الترجمة قبل ذلك التاريخ بفعل الحاجة للتبادل التجاري، متناسين أن كل الشعوب مرت بهذه المرحلة البدائية التي لا تعني إطلاقاً شيئاً مقارنة بالترجمات المرتبطة بنقل النصوص الدينية والأدبية والعلمية وكل ما يتعلق بفروع المعرفة، وفهم طبيعة ورسالة الترجمة والمترجم.

أو "أقلمة" شكل الملحمة وأسماء الشخصيات الأسطورية بلغة أهل روما. (انظر: موسوعة روتليدج لدراسات الترجمة، لندن - نيويورك، طبعة 1998، وكذلك: ريتا كوبلاند، البلاغة والتأويل والترجمة في العصور الوسطى، كامبردج - نيويورك، 1991). هل كان أندرنيكوس بيتغي خلق أوديسة رومانية؟ كان الشاعر متمكناً جداً من اللغتين بنفس المستوى من العمق. بطبيعة الحال لم يسلم الشاعر من النقد، حيث اعترض على طريقته تلك بعض الكتاب والباحثين، سواء من مجاليه أو من اللاحقين.

لم يقم رجل الكنيسة جيرونيوم من بلاد دلماسيا، بترجمة الكتاب المقدس بعهديه إلى اللاتينية وهو في روما، لكنه سافر إلى مدينة بيت لحم في فلسطين، دار اللغة الأولى ومهد المسيح، بتكليف بابوي، وصحبة أربع نساء مساعدات متفرغات لهذا الغرض، فكان أول من كلف رسمياً بهذه المهمة. ثانياً، إن ترجمته وضعت الأساس الأول أو اللبنة الأولى السليمة للترجمة، خاصة عبر مراجعتها من قبل متخصص، كاهن ومترجم ضليع باللغات القديمة، أو أكثر، الأمر الذي مكّنه من تعزيز مصداقيتها ومكانتها. ومن هنا فهي أول ترجمة - حسب معلوماتنا الحالية - قد خضعت لمراجعة دقيقة من شخص كفاء، عارف ومترجم هو القديس السوري لوقيانوس (240 - 312 ميلادية) الذي كان ملماً باليونانية والآرامية والعبرية والذي سبق أن ترجم الكتاب المقدس من العبرية مباشرة إلى اللغة اليونانية القديمة. وبفضل مراجعته ودقة الترجمة أساساً، اعتبرت ترجمة جيرونيوم أدق وأسمى ترجمة للكتاب المقدس تم الاعتماد عليها في أوروبا لمدة 1000 سنة. وقد عرفت في الأوساط الكنسية والشعبية أيضاً باسم "لوغاتا" (الشعبية). وبالمقابل، امتدح جيرونيوم ترجمة لوقيانوس اليونانية بالكلمات التالية: إن "ترجمة الكتاب المقدس من العبرية إلى اليونانية بيد لوقيانوس كانت عظيمة القيمة. سلسة وقد انتشرت بين القسطنطينية وأنطاكية".

ومثلما أثرت هذه الترجمة على أوروبا، وبخاصة أتباع الكنيسة والقراء باعتبارها ترجمة ذات مصداقية، فقد أثرت ترجمة مارتن لوتر وتلامذته

للكتاب المقدس من اللغتين العبرية واليونانية إلى الألمانية (صدرت ترجمة العهد الجديد في سنة 1522، والترجمة الكاملة للكتاب المقدس سنة 1534) تأثيراً كبيراً على "تطور ومعايير اللغة الألمانية، وأصبحت مثلاً للترجمات اللاحقة الألمانية البروتستانتية والكاثوليكية على حد سواء، وكذلك الترجمات إلى الهولندية، الإنجليزية، الاسكندنافية وحتى السلافية". (انظر، الكتاب المقدس اللوتي، ويكيبيديا).

كانت ترجمة مارتن لوتر تحدياً لترجمة جيرونيوم الشائعة. كيف كان على هذا المصلح الكنسي الكبير أن يقبل بترجمة سلفه - كاهن الكنيسة المترجم - حتى لو كانت دقيقة؟ إذاً، كان في حاجة ماسة إلى عمل استثنائي لنشر وترسيخ آرائه الإصلاحية وسط أتباعه، مدعوماً بحجج قوية. لذلك أقدم على خطوة تاريخية بترجمة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد من الأصل: العهد القديم من العبرية والعهد الجديد من اليونانية. فصار في ما بعد يعرف بـ"الكتاب المقدس اللوتي" الذي صار دليلاً ومرشداً للبروتستانت. خلقت الترجمة اللوترية منافسة بين الكنيستين البروتستانتية والكاثوليكية في مجال تعدد ترجمات الكتاب المقدس. لأن الكاثوليك رأوا الحاجة إلى ترجمات جديدة مباشرة كي لا يظلوا رهائن للترجمة اللوترية. والشيء نفسه، ولو بدرجة أقل بكثير، حصل في الإسلام، مثلاً في "النسخة الأحمدية وتفاسيرها". وبغض النظر عن طبيعة ونوعية النصوص المترجمة سواء أكانت دينية أم أدبية أو معرفية فإن تلك الأمثلة تدل قطعاً على أهمية وخطورة الترجمة في حياة الأفراد والجماعات والشعوب. وهي المفردات ذاتها التي طرحها ندوة "قراءة الأبجديات" في ما يتعلق "بدور الترجمة عبر الحضارات، أهميتها في تعزيز تبادل المعرفة والخبرات بين الشعوب، وتعزيز التفاهم بين الثقافات". وكأي حفل علمي - معرفي يمكن للإنجاز أن يكون ذا وجهين أو أكثر. على أن منافع الترجمة لا تقدر بثمن في كل الأحوال.

يعتقد الباحث البولندي يوليوش دومانسكي، المتخصص في الكلاسيكيات واللغة اللاتينية الحديثة، أن "اليونان القديمة (... لا تزال بالنسبة لأوروبا

اليوم تشكل مصدراً محترماً وغير قابل للتصرف، لكن ربما لا يزال نموذج استخدام هذا المصدر هو روما القديمة، وأرى في ثقافة الترجمة الروعة الأكثر تقدراً". ويرى أن الشاعر كوينتس هوراس (65 - 8 قبل الميلاد) كان من أشهر "مؤيدي الترجمة غير الحرفية"، وكان يرى أن من يعتمد على مهاراته الفنية وأسلوبه الخاص في تغيير النص المترجم يستحق التقدير أكثر من ذلك الذي يترجم حرفياً. (انظر: يوليوش دومانسكي، حول نظرية الترجمة والتطبيق في نطاق اللغة اللاتينية، في: حول الترجمة الصحيحة، بولندا 2006). ونجد التوجه ذاته عند الكاتب والخطيب الروماني شيشرون - سيسرو (106 - 7 قبل الميلاد).

أصبح رأي هوراس وشيشرون شائعاً في أوساط المترجمين والدارسين المعاصرين كذلك، ونجد صداه قد وصل بعد قرون إلى الثقافة العربية، ولعل الشاعر والمفكر والمترجم أدونيس خير مثال على ذلك، والدليل ما صرح به من آراء أو ما ترجمه من الأدب الفرنسي شعراً ومسرحاً. وللفيلسوف الألماني نيتشه رأي طريف وحاد في ذلك النهج معتبراً إياه شكلاً من أعمال "الغزو" قامت به روما لاستيعاب وتحويل الأعمال اليونانية! وإذا كان نيتشه يرى في تصرف الرومانيين بنقل عمل أدبي أو أكثر من لغة إلى أخرى بهدف "التوطين" على نطاق واسع "غزواً"، فكيف نفسر ترجمات "ألف ليلة وليلة" إلى مشتقات اللغة اللاتينية من لغات، ثم خلق صورة واقعية سلبية في الأوساط الشعبية الأوروبية، على ضوء أحداثها الفنتازية، عن الثقافة التي أنجبها والمجتمعات العربية والمسلمة عموماً، ما زالت حتى اليوم تلاحق العرب والمسلمين بغير إنصاف؟ هذا مثال على "أحد وجوهي العملة" في مجال التأثير.

ثمة مسألة خطيرة تكاد تكون شائعة، تظهر في بعض الترجمات ومنها العربية. أعني، تواطؤ الناشر مع المترجم أحياناً في حذف بعض الجمل والمقاطع، بل الصفحات من هذا العمل أو ذاك بحجة "خدش" مشاعر العامة، ومخالفته الأعراف، وبطبيعة الحال تقاطعه مع الرقابة! شخصياً، أرى ضرورة

الامتناع عن قبول هكذا أسلوب مهما كانت الظروف والعواقب، لأنه عمل يسيء إلى المؤلف والقارئ وشرف مهنة الترجمة أيضاً.

على أي حال، هل علينا التعامل مع الترجمة وفقاً لمقولة فولتير: "الترجمات كالنساء فإما جميلة أو مخلصه"! شخصياً، لا أتعامل مع هذه المقولة أكثر من كونها "جميلة" أيضاً. وموقفنا هذا ينطبق على كلام الجاحظ (776 - 869 ميلادية) القائل: "واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منها الضييم على صاحبتها" (البيان والتبيين، ج 1).

اللغات كما نعتقد تغني بعضها بعضاً، مؤثرة ومتأثرة، كما أنها تهذب الأذواق والسلوك والتفاهم، بشرط توفر الوسيط المتمكن. نحن لا نعرف أنفسنا جيداً، والأنكى من ذلك أننا لا نعرف الكثير عن هذا العدد الهائل من اللغات المقدر بنحو 6000، ومن بينها لغات لا تملك أبجدية! كل لغة بشكلها وأصواتها، بلاغتها، روحها، وخلفيتها الثقافية الاجتماعية، النفسية، وتاريخها، يمكنها أن تثير، تحرك، تلهم، وتطرح أسئلة، أكثر من كونها مُدخلَةً "ضيم" على أخرى، إلا إذا قام بها شخص غير مؤهل.

وقع الحافر على الحافر

هل ما قاله الشاعر كعب بن زهير قبل 1500 سنة لا يزال سارياً وصالحاً في عالمنا المعاصر: "ما أرانا نقول إلا مُعَاراً.. أو مُعَاداً من قولنا مَكْروراً"، أم إن ما قاله الفيلسوف الألماني نيتشه الذي نميل إليه: "إذا بقيت طوال حياتك تلميذاً فستكون جاحداً لفضل معلمك"، يبدو لنا، أن الاقتباس وأخذ البعض من البعض الآخر بعض الصور والأفكار والصياغات والجمل لم يقتصر على الشعر فحسب، بل تجاوزه إلى النثر والنقد والترجمة، ولم ينحصر في بيئة معينة دون سواها، وقد تفاقمت هذه الظاهرة بفضل انتشار الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي و"يوتيوب"، وتوفر الكتب

بالأهمية والإبداع وعدم السرقة، أن يغير تلك الكلمات؟ الجواب: كلا. لكن سنقول للمترجم: إنك تماديت وأسأت لقلة معرفتك بأن النهار والليل يتألفان من فترات وأطياف وظلال وظلام وأضواء متفاوتة ومختلفة من حيث المعنى واللون والحضور والتأثير، وأنت اقتصرت على ذكر النهار والليل على وجه التعميم (وربما عوضت عنهما بكلمة اليوم)، متجاهلاً ما ورد في النص الأصلي من تفصيل. وبالقدر الذي لا يجوز للمترجم اختصار الترجمة، يبقى من حقه أن يرتب مقطعاً أو معنى ما حسب مقتضيات اللغة المنقول إليها من تقديم وتأخير ووضع النقاط والفواصل وما شابه ذلك. لكن لا يحق له خيانة الأصل بالحذف هنا وهناك إلا إذا كانت الترجمة عملاً إبداعياً جديداً استفاد من أجواء وأحداث العمل الأصلي.

بعض أصول أو شروط الترجمة التي وضعها الجاحظ، تتعلق بمعرفة المترجم باللغتين: المنقول عنها وإليها "معرفة تامة وكاملة لا يشوبها لبس"، أحد أسس الترجمة التي انتبه إليها مبكراً العرب مضافاً إليها دعوة الجاحظ إلى "ضرورة سبك المضمون بأسلوب عربي سليم ليكون الكتاب كأنما كُتب باللغة العربية"، نقول، إن معظم أفكار وملاحظات الجاحظ لا تزال حاضرة في بعض الدراسات الراهنة، بما في ذلك تلك التي يقوم بها الجيل الجديد من الباحثين في مجال الترجمة دون أن يعوا بأنهم يطرحون آراء سابقة، أو ربما أنهم يتجاهلون عن قصد مبدأ الأسبقية لهذا السبب أو ذلك!

كتبت الباحثة الأكاديمية البولندية أنا مايكيفيتش: "تتمثل مهمة المترجم بصفته المستلم الأول في قراءة نوايا المرسل بشكل صحيح، ولكن أيضاً في فك شفرة المعلومات الضمنية. ومن الناحية المثالية ينبغي أن تتوفر لديه معرفة المرسل أي مؤلف النص الأصلي. يجب أن تتعلق هذه المعرفة بافتراضات الرسالة الأساسية والمعلومات المخفية فيها والإحالات والتلميحات وخزين المعلومات المفترض عند المتلقي" (انظر، أنا مايكيفيتش، قضايا مختارة في الترجمة وفانديتها في تدريس اللغة، في: فن أم حرفة؟، كاتوفيتسه، 2007، ص 260؛ وقارن، أنا لغزينسكا، المترجم وكفاءته التأليفية، وارسو، 1999).

اليوم بعد أن تعددت وسائل الإعلام واتسع نطاق النشر في الإنترنت، صارت الآراء والأفكار مشاعة من حيث الوصول إليها، ولم يعد الافتقار إلى معرفة لغة ما لاقتباس وحتى "استنساخ" بعض الأفكار والآراء حاجزاً، كما كان في السابق، أمام تبادل الخبرات والأفكار والمعارف وانتشارها. قد يبدو استنساخ الأفكار، ممارسة غير منتشرة كثيراً في عالم الترجمة، أو قد تكون صعبة على الالتقاط. لكننا نرى عكس ذلك، فهي موجودة، سواء أثناء الترجمة من لغة وسيطة أو عند اقتباس جملة، أو مقطع ما أو أكثر من دون الإشارة إلى اسم المؤلف والمترجم! عمدت معظم دور النشر العربية والأجنبية حتى وقت قريب، إلى تغيير اسم المترجم من أغلفة كتبها. لكن هذا "التغيير" لم يعد أمراً شائعاً في السنوات الأخيرة، وقد لاحظت ذلك جمعية المترجمين في بولندا. طبعاً لم تغير دور النشر موقفها إلا بعد سنوات من المطالبات والضغط من المترجمين وجمعياتهم الوطنية، وكذلك الاتحاد الدولي للمترجمين، ويبدو أن الجميع أيقنوا بأهمية المترجم حتى وضعه البعض في مصافي المبدع. ولذا على كل مترجم أن يشترط ذكر اسمه على صفحة الغلاف الأول أيضاً بعد وضعه شرطاً في العقد، واحترام حقوق المترجم وجهده ونصه على قدم المساواة مع المؤلف وحقوقه. وإلا، فهل على المترجم أن يكون نسياً منسياً، حيث يتم السطو على جهده وتغيير اسمه؟

لو أخذنا جدلاً بفكرة أن عبارات وكلمات كالسواد والبياض، والصحراء والغابة، والأشجار والنباتات وغيرها، قد وردت في الترجمة وهو أمر لا مفر منه، فهل هذا يعني أن المترجم قد سرق هذه التسميات والتوصيفات من أسلافه؟ هل على المترجم لكي يقال عنه، إنه بارع ومبدع، أن يغير ألفاظاً مثل السماء والأرض وأسماء الكواكب والنجوم والمرأة والرجل والليل والنهار وأسماء الأزهار والنباتات والفصول الواردة في النص الأصلي؟ بطبيعة الحال، هذا الإرث البشري من الألفاظ والأوصاف والتسميات مشاع للجميع. نسوق أمثلة بسيطة لكنها حيوية: هل على المترجم كي ينعت

وهذا هو ما عناه أبو عثمان عمرو الجاحظ في تأملاته التي خصصها لشروط الترجمة السليمة في أربع صفحات ضمن مؤلفه "كتاب الحيوان". (قارن مقال، جيلالي كاملين، التلقي في ضوء مفهوم الترجمة عند الجاحظ، بي دي أف، ص 202).

الأمانة والخيانة

يبقى حذر الجاحظ من ترجمة الشعر التي تفقده بعض شعريته وخصائصه، وطرحه فكرة "الأمانة والخيانة" في الترجمة، حاضراً في أوساط مترجمي الأدب والكتاب والمثقفين في معظم أنحاء العالم. وبالطبع، معظم هؤلاء المترجمين والدارسين، عدا العرب منهم، لم يطلعوا على آراء الجاحظ. لاحظنا بحكم التجربة أنه كلما كان المترجم كلاسيكي النزعة والثقافة كان رأيه أقرب إلى الجاحظ في طرحه، خاصة في ما يتعلق بطريقة ترجمة الشعر القديم والكلاسيكي، نظراً لمعوقات ترجمته المتعلقة قبل كل شيء بأوزانه، وقاموسه اللغوي القديم، وشكله. ولا يخلو تاريخ الأدب الحديث والمعاصر من آراء تحمل هذه الروحية، رغم الميل الجلي لدى كثير من الشعراء والكتّاب إلى مقولة استقفاها وصاغها بطريقته الخاصة الكاتب الأميركي كيث بوتسفورد (1928 - 2018): "الشاعر الجيد يفهم أن الترجمة في الشعر ليست خيانة، إنه يخلق قصيدة جديدة كاملة بلغة أخرى". وهو نفسه القائل: "هويتي مخفية بين لغات العالم". كل إنسان تقريباً في عالمنا المعاصر يحمل هذه الجانِب المخفي من "الهوية". هناك مدن مثل نيويورك، لندن، برمنغهام، وأخرى غيرها، لا يمكن المستطرق أن يتجنب سماع هدير اللغات، إيقاعاتها، نبراتها، ومعانيها المتعددة وتقاطعها، بل حتى لهاث الناطقين بها. إنها شئنا أم أبيننا تؤثر في أعماقنا وإيقاع حياتنا من حيث ندري أو لا ندري.

بناء على ذلك كله، هل يمكننا طرح بديل عن الترجمة بنوعها الحرقي والفتني؟ نعم، بشرط توفر المترجم الكفاء، وطبيعة ولغة العمل المترجم. حينئذ يمكن لهذا البديل المحافظة على الأصل وجماله ومقاربة أسلوبه في ترجمة الشعر والقصص والروايات والأعمال النقدية والفكرية، لكنه ليس ضرورياً في نقل العلوم الصرفة التي لا تحتاج إلى ترجمة فنية بقدر حاجتها إلى الدقة. وفي ترجمتنا الشعرية والنثرية حاولنا السير في هذا الاتجاه. بغض النظر عن مقاصد الترجمة والظروف المحيطة بها، إلا أنها حقل يزداد تأثيراً في فضاء يتسع يوماً بعد آخر ولا يمكننا التعامل معها إلا على أساس المنفعة حتى لو كمننت وراءها أغراض أخرى، قد تكون جزءاً من خطة المترجم ذاته.

كنت وما زلت أشعر بالاطمئنان أثناء قراءة ترجمة شاعر لشاعر أو ناثر لناثر مقارنة بترجمات ممن لا يمارس هذين المجالين الإبداعيين، لكنني فضلت الترجمة الحرفية الوافية للأصل عندما شعرت بحاجة "ماسة" لمراجعة ترجمتي في لغة أخرى إن وجدت. إنها متعة اكتشاف الذات عبر الآخر، ورحلة ثلاثية الأبعاد للشاعر ونصه الأصلي، وللمترجم ونسخته المترجمة وأسلوبه في الترجمة، وأنا - المتلقي.

لا يمكننا تجنب المفارقات حتى ونحن نقرأ ترجمة قدير وغزير كالناقد (المترجم - الشاعر) البولندي ستانيسواف بارانتشاك (1946 - 2014) مترجم الشعر الإنجليزي، الإيرلندي والأميركي. حينما نقرأ ترجماته سواء من الشعر الكلاسيكي أو الحديث والمعاصر تنبهر بلغته ومكنته في الترجمة، لكنك بعد التدقيق والتتبع تحس بوجود حرية منحها المترجم - الشاعر لنفسه، وهي في النهاية جرأة لا يمتلكها كل مترجم. سأسوق مثلاً على ذلك، عندما شرعت في ترجمة الشعر البولندي أواخر السبعينات، لم أكن بحاجة إلى الاستعانة بترجمات أجنبية لشعر أقرأه في الأصل وأعرف معظم رموزه الأحياء شخصياً، بيد أنني كنت على وهم لأن فكرة الاطلاع على جهود مشاهير، في حد ذاتها، ليست سيئة رغم كونها محفوفة ببعض المخاطر التي

إغواء الترجمة من لغة ثانية

نشأ نقاش، منذ زمن ترجمة العهد الجديد من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية، بصوت عالٍ مرة واحدة وخافت أخرى، يتناول مصداقية النص المترجم من لغة وسيطة إلى لغة ثانية أو ثالثة. وهو ما أشار إليه أبو حيان التوحيدي بقوله: إن "الترجمة من لغة يونان إلى العبرانية، ومن العبرانية إلى السريانية، ومن السريانية إلى العربية، قد أخلت بخواص المعاني في أبدان الحقائق إخلالاً لا يخفى على أحد. ولو كانت معاني يونان تهجس في أنفس العرب مع بيانها الرائع، وتصرفها الواسع، وافتتاحها المعجز، وسعتها المشهورة، لكانت الحكمة تصل إلينا صافية بلا شوب، وكاملة بلا نقص". (انظر، التوحيدي، المقابسات، دار سعاد الصباح، مقابلة 63، ص 258).

نحن أمام عدد ليس بالقليل من العناوين في شتى مجالات الأدب والفنون والعلوم والمعرفة بشكل عام. يتفق المترجمون والدارسون على أهمية وألوية الترجمة من الأصل، أي من اللغة الأولى الأم، لكنهم ينقسمون على فريقين: رافض ومشكك في جدوى ودقة تلك النصوص المنقولة عبر وسيط، وفريق يجيز ذلك طالما أنه لا يوجد سبيل آخر للترجمة المباشرة، أو لأسباب تبدو وجهة - إلى حد ما كما سنرى - نذكر من بينها، الترجمة أثناء المؤتمرات وبعض جلسات ومداومات المؤسسات الدولية، لنقص المترجمين من لغة المتحدث الأصلية، أو لدواع تعليمية، وتطرح هذه القضية أيضاً في "دور اللغة الأولى في تعليم لغة ثانية/أجنبية" (انظر، غاي كوك، الترجمة في تدريس اللغة، أو كسفورد، 2010).

بطبيعة الحال، نحن نركز في بحثنا على الترجمة ذات الطبيعة الأدبية. ويذكر لنا الباحث الأكاديمي البولندي الشاعر والمترجم يزي يارنيفيتش، أن أحد الأسس التي أشار عليه العارفون باتباعها هي: "لا تترجم من لغة ثالثة"، لكنه كسر تلك القاعدة في حالات عدة. (انظر، اليوم العالمي للترجمة، نزهة بعد الترجمة: تسجيل على (يوتيوب)، 30 سبتمبر/أيلول 2021)، أي على المترجم أن يترجم من الأصل مباشرة من دون وسطاء. ويشير، في التسجيل

قد تجعلك تشك بنفسك أحياناً لأنك ترجمت هذا البيت أو الجملة بشكل مغاير لما رأيته لدى مترجم آخر.

في النصف الأول من التسعينات بدأت أعمل على ترجمة مختارات شعرية لشعراء بولنديين معروفين، وكانت فيسوافا شيمبورسكا من بينهم. وقد سبقني في ذلك بارانتشاك بترجمته المشتركة مع شاعرة أميركية وأكاديمية لمختارات شعرية من تجربة الشاعرة "النوبلية". والشئ ذاته حصل مع مختاراتي الشعرية لشعر تادووش روزيفيتش الذي ترجمه إلى الإنجليزية المترجم القدير الشاعر والأكاديمي البولندي المقيم في لندن آدم تشرنيفسكي. حصلت على ترجمة الأول لشيمبورسكا بالإنجليزية، ولاحظت أن المترجم سمح لنفسه أكثر من سواه في التصرف لأنه خلق نسخته الشيمبورسكية الإنجليزية، على نقيض ترجمة تشرنيفسكي الذي كان أكثر وفاء للأصل البولندي. حرية المترجم لا تعني فشله أو عدم وفائه وسوء فهمه للأصل، وإلا كيف يمكننا قول ذلك بحق بارانتشاك؟ حينئذ تعلمت درساً في الحذر من الوثوق بترجمات الآخرين أثناء ترجمتي. أما ما يقوم به بعض المترجمين العرب من ترجمة الشعر والأدب البولندي أو سواه من لغات وسيطة إلى العربية فلا يوجد مبرر واحد للثقة بدقتها إلا في حالات استثنائية.

الأمر الآخر الذي تعلمته هو الابتعاد عن عمل ترجمات أولية على أمل العودة إليها ومراجعتها في ما بعد. لقد ترجمت أشعاراً كثيرة في ثمانينات القرن الماضي، وتركتها كي تختمر، ولم أسجل اسم المصدر وعنوان القصيدة في الأصل، فتعرضت لتضييع جهد مهم في مسيرتي الترجمة، وما كان أمامي من حل سوى إعادة ترجمة النصوص من جديد أو العزوف عن بعضها نهائياً. خلاصة القول: ترجم بجد وكأنّ ما تعمله هو النسخة النهائية لأنك ستضطر لمراجعتها قبل نشرها، كما فعلت أنا مع ترجمة رواية "سولاريس" التي أخذت من وقتي شهرين إضافيين! المراجعة ضرورية شرط ألا تكون ترجمة جديدة لنص قمت أنت بترجمته على عجل.

نفسه، محاوره الكاتب والمترجم والأكاديمي بيوتر بازينسكي، إلى أن أوروبا اطلعت على الأعمال اليونانية الفلسفية والعلمية والمعرفية القديمة، أولاً بفضل ترجمتها عبر وسيط هو اللغة العربية رغم تسرب روحها وتجربتها الخاصة إلى ما ترجم منها إلى اللاتينية. ولهذا فإن الترجمة من لغة ثانية كانت ملحة في تلك الأزمان وربما حتى أيامنا الراهنة!

كانت ترجمات سامي مصباح الدروي (1921 - 1976) من الأدب الروسي لأعمال دوستويفسكي، وتولستوي وآخرين، هي النافذة على الأدب الروسي التي أطل من خلالها أمثالي أثناء دراستنا الجامعية، ولم نكن نعرف أننا نقرأ بلغة ثالثة لأن المترجم لم يعرف اللغة الروسية، وأن ما فعله كان عبر لغة ثانية هي الفرنسية. ومن الطريف أن دوستويفسكي نفسه قد بدأ مسيرته الأدبية بالترجمة من الفرنسية التي تعلمها في المدرسة!

قبل نحو ثلاث سنوات، طلبت منا دار الكرم المصرية ترجمة رواية "سولاريس" الشهيرة للكاتب البولندي المعروف ستانيسلاف لَمْ، لأنها قررت نشر الترجمة من الأصل فقط. وبعد تردد وافقت واستغرق العمل مني سنة لصعوبته. إن ما نود الإشارة إليه هو أننا تسلمنا من الناشر ثلاث ترجمات "بي دي أف": بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وتمكننا من توفير ترجمة روسية لأنها إحدى اللغات السلافية. وبما أننا لا نعرف أكثر من مبادئ الفرنسية والألمانية والروسية، لا نتحدث بها، ركزنا على النسخة الإنجليزية، لفك شفرة المصطلحات والعبارات العلمية التي نحتها المؤلف والتي لم يعرفها إلا ثلة من المتخصصين البولنديين. أثناء عملية المتابعة عرفنا أن الترجمة الفرنسية الأولى (صدرت قبل الإنجليزية) ناقصة وحافلة بالأخطاء ووقع مترجما الطبعة الإنجليزية الأولى (1970) دون قصد في خطايا النسخة الفرنسية وكان على القراء أن ينتظروا مرور 40 سنة كي يحصلوا على ترجمة من اللغة الأصل قام بها الأميركي بيل جونستون، عام 2011. ورغم أن الترجمة دقيقة إلا أن المترجم اجتهد في بعض المواقع من ترجمته فكثف، ومن لا يعرف الأصل تلتبس عليه الأمور. وأصعب شيء

واجهنا هو ترجمة المصطلحات العلمية العويصة من صنع المؤلف والتي لا مقابل لها بالعربية.

وهناك مثال آخر أود أن أسوقه، ففي النصف الثاني من التسعينات اقترح عليّ أحد الزملاء أن أترجم قصيدة "وقع خطوات الماء" للشاعر الإيراني سهراب سهرري. رفضت في البداية وبعد إلحاح متكرر، فعلت ذلك، رغم أنني لم أكن مقتنعاً تماماً وظننت الطلب مقلباً نعم، يمكنني قراءة الفارسية بطريقي الساذجة لكنني اعتقدت حينها أنني سأفعل ما بوسعي كي تخرج الترجمة العربية مقبولة. وصلني الأصل الفارسي، وجمعت الترجمات المتوفرة آنذاك، البولندية والإنجليزية والفرنسية والترجمة العربية المصرية اليتيمة آنذاك، وتوكلتُ. كانت الترجمة العربية سيئة حقاً. ولم تسعفني سوى الترجمة البولندية في المواقع التي لم أفهمها في الأصل كما ينبغي. كان المترجم البولندي صديقاً لي، وضليعاً بالأدب الإيراني ويعرف الفارسية بعمق، أنجز الدكتوراه في طهران، وبدأ حياته بكتابة الشعر، وتخرج في قسي اللغة البولندية وآدابها، والدراسات الإيرانية في جامعة وارسو. كتبت مقدمة عن القصيدة والشاعر وضرورة الانفتاح على الترجمة من الآداب الشرقية، ونشرت القصيدة في مجلة "نزوى" سنة 1998، لكن، لم يهدأ لي بال مطلقاً، حفاظاً على سمعتي، فقممت بتمريرها على شاعر وأديب مترجم، لغته الفارسية كالعربية ورجوته، بعد مرور أكثر من 10 سنوات على نشرها، أن يراجع ترجمتي، وما أفرحني حقاً أنه امتدحها ولم يجد فيها مثلبة، وقدم لي بعض الملاحظات الوجيهة! فقلت لنفسي: لقد نجوت يا رجل!

إن غواية الترجمة، على ما يبدو، متأصلة في نفسي وهي جزء من مشروعني الأدبي والثقافي منذ البدايات الأولى، والدليل على ذلك، أن أول ترجماتي كانت عبارة عن تمرين عبر لغة ثانية هي البولندية! في الشهر العاشر سنة 1977 نقلت وسائل الإعلام البولندية خبر فوز الشاعر الإسباني بيثني ألكسندري (1898 - 1984) بجائزة نوبل للأدب، مع نبذة عن حياته ومجموعة من

أغلب ترجمات الأدبية حتى مطلع هذا القرن، كانت من دون مقابل لأنني لم أفكر في هذا الجانب مطلقاً، لأنني تعاملت مع الترجمة على أنها فعل كالإبداع وفصل مهم في تجربتي ومشروعي الكتابي.

تعدد الترجمات رحمة أم نقمة؟

إن تعدد ترجمة العمل الأدبي ذي القيمة الفنية، الفكرية والإنسانية، ممارسة اعتادها المترجمون من مختلف الأجيال والعصور. ما الذي كان سيحصل لو اكتفينا بترجمة أبو بشر متى لكتاب "فن الشعر" وملخصات الكندي وابن رشد والفارابي لأرسطو طاليس؟ ألا يجدر بنا قراءته بترجمة المحققين مثل إحسان عباس، وعبد الرحمن بدوي، أو بلغته الأصلية، مثلاً؟ كيف ستكون صورة مسرحيات شكسبير في المسرح العربي لو لم يترجمه جبرا إبراهيم جبرا، وصلاح نيازي "هاملت وماكبث" مثلاً؟ كيف كانت ستبدو رواية "يوليسيس" جيمس جويس إحدى أهم أعمال الحداثة العالمية لولا ترجمتها الثانية الأكثر دقة التي أنجزها صلاح نيازي؟ لقد ترجمت مسرحية "هاملت" عشرات المرات إلى اللغة البولندية والألمانية والفرنسية وسواها، وتعددت ترجمات "الكوميديا الإلهية" للإيطالي دانتي أليغييري التي ترجمت، على سبيل المثال، إلى اللغة البولندية مرات عديدة وكانت ترجمة الشاعر ياروسواف ميكووايفسكي سنة 2021 آخرها. فالأذواق متعددة ومتجددة، واللغة تتجدد، وما نقوم به اليوم من ترجمة قد لا يتلاءم لغة وأسلوباً وذوقاً مع تطلعات الأجيال المقبلة، كما أن ترجمة الأعمال الكلاسيكية تختلف عن ترجمة المؤلفات الحديثة والمعاصرة. في المقابل، لا بد من الإشارة إلى ضرورة عدم إضاعة وقت المترجم إلا لدى الضرورة القصوى.

كنت شاهداً على عملية ترجمة القرآن من العربية إلى اللغة البولندية

قصائده ترجمت من الإسبانية مباشرة، وصدرت بعدها بقليل مختارات شعرية وافية للشاعر الإسباني، قرأتها مراراً، وواجهت بعض الغموض في بعض مفرداتها وأجوائها، لم أسمع بالشاعر من قبل وأردت أن أكون من بين أوائل من يوصل الشاعر إلى القارئ العربي! لقد تعرفت بفضل اللغة الوسيطة على شعر الشاعر وسواه. لكن أن تتعرف على تجارب الآخرين عبر وسيط لغوي شيء وتنقلها إلى لغة ثالثة شيء آخر. ترجمت بضع قصائد له وتركتها تختمر طويلاً، وخوفاً من عدم الدقة و"التطفل" راجعتها مراراً وتكراراً بعد أن استشرت أحد مترجمي الشعر الإسباني إلى البولندية، ولم تخرج من الدرج إلا في أواخر السنة، لتنشر في 1978 على الأرجح.

الترجمة من لغة ثانية مغرية في حالات معينة، ولكن لا مفر منها للباحث الذي لا يعرف الأصل ويجد نفسه مضطراً إلى الاقتباس أثناء البحث من لغة وسيطة. ونظراً لتوفر أنظمة للترجمة عن طريق الإنترنت فلم يبق أمامنا اليوم سوى وضع ثلاثة شروط، منها اثنان يخصان المترجم: ضمير المترجم ورسالته وطموحه، والثالث هو لا بد من وضع الترجمة الأصلية في المقام الأول، أما الشرط الثالث فيخص الناشر وضرورة توفير مراجع أو أكثر للترجمة. من حسن الحظ، أن الكاتب، في السنوات الأخيرة، إن كان حياً طبعاً، أو ورثته في أحيان كثيرة يشترطون أن يكون المترجم عارفاً للغة الأصل، وله خبرة في مجال عمله. والغريب أنني مررت بحالة عجيبة. كلفتني دار نشر عربية بترجمة إحدى روايات الكاتبة البولندية أولغا توكراتشوك التي اقترحتها عليها شخصياً قبل سنة من فوز الروائية بجائزتي مان بوكر، ونوبل للأدب، مبرراً ذلك بأهميتها وشعوري بقرب نيلها جائزة نوبل، فوافقت الدار على اقتراحي، وفاتحت دار النشر البولندية التي وعدتها بالحصول على حقوق النشر لكن الناشر تأخر في تسهيل القضية لأسباب تتعلق به، وباعت دار النشر البولندية الحقوق لناشر عربي آخر نشر ما أراد من لغة ثانية. طبعاً، في ذلك الوقت، ترجمت من الرواية ربعها! فلقدت درساً جديداً فحواه: لا تترجم شيئاً قبل توقيع العقد. بالمناسبة،

قبل صدور الترجمة كاملة سنة 1985، من قبل المستعرب الدكتور يوزف بيلافسكي (1910 - 1997) الذي كان يسأل مستعلماً ومستفسراً رغم معرفته بالعربية واستفادته من ترجمات عديدة أخرى سابقة بلغات أوروبية، وهذا ديدن الباحث والمترجم الحصيف دون ريب. الاستفسار والتدقيق والاتصال بذوي المعرفة من الناطقين بها. بعد سنوات من العمل. أنجز الأستاذ ترجمة حرفية ودقيقة من حيث المعنى، لكن هل على القرآن أن يترجم حرفياً بحيث يمكنه أن يفقد سحره البلاغي؟ كانت ترجمة القرآن السابقة (سنة 1858) على يدي البولندي التتاري الأصل المسلم طارق بوتشاتسكي فيها بلاغة وشعرية أكثر، وكأنها سارت على طريقة هوراس. الشيء المؤكد هو أن على ترجمة النصوص الدينية أن تخضع للأمانة. إذاً، نحن أمام ترجمتين: حرفية أراد صاحبها أن تكون مطابقة للأصل حتى لو فقدت بعض بريقها وجمالها وتعرضت لأخطاء بعد نقل النص كما هو، لأن ما يقع أبعد من ظاهر النص من معنى وبلاغة يبقى عصياً على الكشف والاستسلام إزاء محاولة اصطياده لفظاً هو من صنيع لغة وثقافة وعقلية مغايرة. وترجمة فنية، نقلت المعنى بمعنى، وصياغة بصياغة أملتها "فاتورة" اللغة المنقول إليها، حرص صاحبها على الجمع بين اللفظ والمعنى ابتغاء جعلها مؤثرة في نفوس القراء، لكنها لم تسلم من نقد على صعيد الإحساس بطبيعة اللغة وانتقاء الألفاظ المناسبة، ربما لأن المترجم من قبيلة أخرى من حيث الأصل والمعتقد. هناك ترجمة ثالثة مزدوجة اللغة: عربية - بولندية، تدعى الترجمة الأحمدية، صدرت سنة 1990، مصحوبة بتأويلات وشروحات. وثمة ترجمة رابعة مزدوجة اللغة، بولندية - تتارية، صدرت سنة 2018، نشرها اتحاد المسلمين البولنديين، قام بها المترجم والشاعر موسى تشاخوروفسكي. وحتى الآن لسنا متأكدين في ما إذا كانت جديدة تماماً، أم أنها توكأت على "تفسير مينسك التتاري" الذي يعود إلى سنة 1686، وهي ترجمة مخطوطة بالتتارية والبولندية، ويرى البولنديون أنها ثالث ترجمة للقرآن في أوروبا على الإطلاق، بعد ترجمة روبرت كيتون اللاتينية سنة 1134، وألكسندر روس الإنجليزية في 1624. (قارن، توماش

فيتسوافسكي، ترجمة القرآن التتارية كانت ثالث ترجمة في العالم: وكالة الأنباء البولندية، 17 أكتوبر/ تشرين الأول 2017).

ما الذي تغير في مجال الترجمة بعد مرور قرون عديدة من وفرة العناوين والمترجمين؟ الجواب، نجده في المكتبات العامة والخاصة وفي معارض الكتاب المحلية والدولية، والندوات، وارتفاع عدد المترجمين، ومؤسسات الترجمة الأكاديمية وسواها، وكثرة المنح والجوائز المخصصة لها، ونشوء جمعيات واتحادات للمترجمين، وإصدار مجلات ونشرات تعنى بهذا الجانب. أما في مجال الدراسات المتخصصة بالترجمة، نظرياً وتطبيقياً، فعدد الدراسات اليوم كبير، لأن الترجمة حقل واسع لا يقتصر على الأدب والفنون والعلوم فقط. ولأننا لا يمكن تخيل وسائل الإعلام والمجلات على شتى أصنافها، وقطاع السياحة والاقتصاد والدبلوماسية والمؤسسات العالمية والتقدم العلمي والمؤتمرات والندوات العالمية من دون حضور الترجمة، بغض النظر عن مستواها والشكل الذي تتخذه، كتابياً أو شفهاً. وعليه فكلمة اتسع فضاء الترجمة ازاد عدد المترجمين والعناوين المترجمة.

الترجمة ممارسة تطبيقية واجتهاد يجمع الهوية والاحتراف والمعرفة على حد سواء، تجمع بين المهارة والشغف الشديد بإنجاز ذي قيمة. وهذه الممارسة ذات بواعث عديدة، لكنها عمل مهم جداً تملبه بواعث داخلية وخارجية، قبل أن تكون مادة للتنظير والتفكير، والتخصص في الجامعات وسواها. لا تنفع النظريات المترجم كثيراً، بل قد تحرفه عن الطريق القويم! ومن هنا فالمترجم لا ينحصر دوره في الوساطة بين طرفين (المنقول عنه والمنقول إليه) من خلال نقل المعارف الأدبية والعلمية والفكرية والتجارب اللغوية والشخصية فحسب، وإنما صار لما ينجزه قيمة بحد ذاتها متمثلة بنشوء كيان له جسد ذو حضور متزايد في التعليم والحياة الاجتماعية والثقافية للأمم. وله روح وطاقة حية مؤثرة وفاعلة، وتكاد تكون طاقتها نابعة من مولد داخلي يشتد نشاطه وتوجهه حسب ظروف تُشارك في توفيرها دوافع ذات مرجعيات متعددة.

أهمية الترجمة

الدكتورة نويمي فيّرو

ماذا يمكننا القول عن الترجمة وأهميتها؟ فهذه المهنة قديمة قِدَمِ العالم، أقصد ممارسة الترجمة بوصفها تمريناً لنقل معنى أو فكرة من لغة إلى أخرى. إضافة إلى ذلك، فإن الدراسات والبحوث والنظريات المتعلقة بالترجمة متعددة ومتزايدة ومنتشرة أيضاً في كل الثقافات ووجَل اللغات، لا سيّما منذ القرن العشرين، إذ بدا أن أهمية الترجمة والتفكير فيها احتلّت منزلةً أعلى، أو على الأقل زادت مكانتها الثقافية، ولو أنها في الحقيقة لم تفقدها مع مرور السنين وعلى مدى القرون.

تناولت مجالات دراسية مختلفة موضوع الترجمة، من الفلسفة إلى اللسانيات مروراً بالطبع بدراسات الترجمة وخصوصياتها، وسَعَتْ جميعها إلى تصنيفها وتعريفها، ناهيك عن محاولة الإجابة عن السؤال الأساسي: ما الترجمة أصلاً؟ في الحقيقة، لا أريد أن أخوض كثيراً في هذه النقطة، بل سأكتفي باقتباس عبارة عن معنى الترجمة تركها لنا الفيلسوف والمترجم والروائي والباحث أمبرتو إيكو، إذ أشعر أن تعريف المعلّم الإيطالي لها مفيد جداً. حسناً، عن سؤال ما الترجمة؟ كان إيكو يجيب أنها "قول الشيء نفسه بلغة أخرى"، وختاماً للجملة هذه كان يضيف: "وهذا مستحيل!". أعجبتني الفكرة في البداية لأن إيكو بلُطْفٍ يفتح هذه العبارة المثيرة للجدل باباً جميلاً للحوار. لا شك أن تعريفه للترجمة لا يقتصر على هذه الجملة فحسب، بل لديه، كما نعلم، دراسات ومحاضرات عدة شرح فيها لماذا يستحيل قول الشيء نفسه بلغة أخرى. فضلاً عن ذلك؛ فإنه كرّس كتاباً كاملاً لهذه القضية. عنوان الكتاب باللغة العربية هو: "أن نقول الشيء نفسه تقريباً"،

لا يمكن إطلاقاً أن تتم عملية الترجمة (النقل) بين طرفين أو أكثر من دون وجود المترجم أو الرسول، أو الوسيط. لهذا الطرف "الثالث" بعد المؤلف وعمله (الثاني في الحقيقة) دور خطير يقوم به، وليس أمامه سوى النجاح في مهمته، وبعكس ذلك سينسف أصول عمله تماماً، ويلحق ضرراً فادحاً بنفسه والمؤلف والثقافتين معاً. في برنامجه الدراسي السنوي، لقسم اللغويات التطبيقية بجامعة وارسو، يطرح البروفيسور البولندي الناقد والشاعر والمترجم ألكسندر فيزُبشا (لَشْك شاروغا - اسمه المستعار) 17 محوراً للدراسة والتطبيق في درس الترجمة، نذكر ما استوقفنا فيها: "مفهوم الترجمة الأدبية، ورشة عمل مترجم الأدب، اللغة الأدبية كمؤسسة ثقافية: بين اللغة "الخاصة" واللغة "الأجنبية"- المترجم ك"مفاوض"، ضائع في الترجمة، الترجمة: عمل تقليد أم ابتكار أصلي، الترجمة مساحة لحوار الآخر، نظرية الترجمة: نظرية كل شيء؟ وهل يمكن انتقاد الترجمة؟". أما الأهداف فصاغها كما يلي: "المخرجات التعليمية: اكتساب المعرفة بالقضايا الأساسية للترجمة الأدبية؛ المعرفة: تعلم مجموعة متنوعة من استراتيجيات الترجمة، والتعرف على المشكلات الأساسية لورشة عمل المترجم الأدبي؛ المهارات: القدرة على تحليل العمل الأدبي والترجمة الأدبية؛ الكفاءة الاجتماعية. ويمكن النظر إلى المترجم على أنه "مفاوض" أو "منسق" بين المؤلف والمتلقي الأجنبي. وإن قبلنا بهذا التوصيف، فهو "مفاوض" بين لغتين وثقافتين، ولكي يقوم بعمله على أكمل وجه فهو "الرسول اللغوي - الثقافي" بين لغتين وثقافتين، ولا مفر أمامه سوى الاجتهاد في "صنعتة"، لأن مسؤولية جسيمة تقع على كاهله قد تصل في لحظات معينة إلى تلطيف الأجواء أو تعكيرها كما في الترجمات الفورية بين مسؤولي الدول. لقد تحوّلت الترجمة من جهد فردي إلى مؤسسة، وممارسة الترجمة تحوّلت إلى نشاط يجمع بين الحرفة والهواية، أقرب على الإبداع بعد النص الأصلي وفي أحيان تضاهيه. ليس كل مترجم مبدعاً، لكن كل مترجم حقيقي هو مبدع.

ترجمه أحمد الصمعي، وصدر عام 2012. في حين نشرت الترجمة الإسبانية في العام 2008، وصدر الكتاب بنصه الإيطالي الأصلي في 2003. وهنا أشير إلى أن هذا التأخير في نقل الكتاب وغيره إلى لغات أخرى، يتعلق بسببه بالمسؤولين الذين يتخذون قرار ترجمة كتاب ما، ولبس بالترجمين.

إذاً، بعد الاعتراف الصادق والمدروس بأن قول الشيء نفسه بلغة أخرى أمر مستحيل، لكن لعلنا نتفق على أننا نقول الشيء نفسه تقريباً (فقط)، ولكننا لا نقوله نفسه تماماً!

في البداية لست أدري إلى أي درجة تبلغ أهمية الترجمة أو مكانتها بشكل عام، فتكرار أمر ما قد يدفع البعض للاعتقاد بصحته. في هذه النقطة لا بد أن ننظر إلى قضية أهمية الترجمة من خلال اعتبارين هما، الأول: أظن أنه لا داعي لمناقشة أهمية الترجمة لو نظرنا إليها من زاوية المعرفة البشرية، فمن دون الترجمة كنا سنعيش في ظلام شبه دامس. والمقصود أنه، بفضل الترجمة عرفنا الآخر، وتقدمنا في الاكتشافات العلمية، وعرفنا ثقافات مختلفة، ومازلنا نتقرب منها بفضل الترجمة. باختصار شديد، لولا الترجمة لكانت مجالات التفكير عموماً أضيق ممّا هي عليه الآن. إن هذا الاعتبار يجعلني أفكر في العلم خصوصاً. على سبيل المثال، لعلنا جميعاً نتفق على أن الترجمة في الطب، في الفلسفة، أو في الهندسة، مصدر من مصادر النمو والتطور، أي أنها ضرورية لتقدم البشرية.

الاعتبار الثاني: أهمية الترجمة في المجال الثقافي. حسناً، يبدو كذلك أن هناك إجماعاً على أهمية الترجمة في هذا المجال الخاص، فالثقافة عموماً تمثل حسب ما يقال ظاهرة إنسانية لا بدّ منها لتقدم مجتمع ما أيضاً، ولكننا هنا ندخل في تفاصيل أخرى غير ملموسة أحياناً أو يصعب لمسها على عكس ما يحدث حين نتكلم عن التقدم العلمي مثلاً. لا أريد أن أقول إن الطب أو الهندسة أو الرياضيات، والعلم عموماً تزيد أهمية على المجالات الثقافية، كالأدب، ولكن يجب علينا أن نعترف أيضاً بأن الأدب موضوع ليس أساسياً

لكثيرين من الناس في حياتهم اليومية. إن الابداع الفني، قد يسعى أديباً أو موسيقياً أو فنناً تشكيمياً، مهم جداً برأيي! أدخل في هذا الأمر الشائك لأتة يدعوني إلى الانشغال بأول نقطة ستساعدني في توضيح تفاصيل ما أقوم به وهو الترجمة الأدبية. تعيد هذه النقطة إلى الأذهان تصنيفاً نمطياً متكرراً للمترجم، حيث يقال إنه "جسر بين الثقافات". لا أستبعد أن كثيراً من الزملاء قد يكونون راضين عن هذه العبارة ويعتزون بها، ولكنني شخصياً لا أحبّها، وسأوضح السبب. عندما أسمع أن المترجم جسر بين الثقافات، والعبارة نفسها تستخدم كثيراً أيضاً وتكرر حتى الملل في لغتي الأم (الإسبانية) أتصوّر المترجم مستلقياً على الأرض، للمرور ذهاباً وإياباً في عبور الجسر. ما أريد أن ألفت الانتباه إليه بهذه الطريقة هو أننا تعودنا أن نلقي على كاهل المترجم مسؤولية كبيرة لا بدّ أن يشاركه فيها آخرون من دون أن يتركوها عبئاً على المترجم وحده.

إن الدفاع عن أهمية الترجمة التي أوّمن بها قد يتزامن كما يحدث مع شكوكي فيها كمترجمة. إن أول عامل يدعم أهمية الترجمة ويؤكدّها في المجال الثقافي يتجلى في حيوية سوق الكتاب ونشاطه، وهي صناعة مزدهرة بشكل عام وناجحة في أغلب المجتمعات. يمكننا بنظرة سريعة على سياق صناعة الكتاب أن نلاحظ وجود مساحة هائلة مخصّصة للأدب المترجم. من ثمّ، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كم من المال يتحرك بفضل هذه الصناعة؟ إن هذا الاهتمام بالمعرفة والاكتشاف والمكتوب بلغات أخرى يترجم بالأرقام أيضاً، إذ لا يمكن لنا أن نهمل حقيقة أن الكتاب كذلك في نهاية المطاف "منتج"، يباع ويشترى ويواجه احتمالات الريح أو الخسارة، مثلما يحدث في أي صناعة أخرى. في رأيي، لا بدّ أن نفكر في ذلك أيضاً حتى نتجنب الدخول في معمعة مثاليّات بعيدة عن أرض الواقع، فالكتاب المترجم يمتثل لقوانين السوق مهما أردنا أن نرفع من قيمته بوصفه نتاجاً ثقافياً بحثاً. على سبيل المثال، وفقاً للمستندات المنشورة في السوق الإسباني للكتاب، تُرجم السنة الماضية (2021) ما يقارب 12 ألفاً و800 كتاب.

«دون كيخوت» الترجمة

الدكتور طلعت شاهين

لعبت كلمة "الترجمة" دوراً مهماً وحاسماً في حياة ميغيل دي ثرانتيس وروايته "دون كيخوت" منذ اللحظات الأولى لكتابة هذا العمل الإبداعي الكبير، فقد صدر الجزء الأول من الرواية عام 1604، ونظراً للظروف السياسية والدينية والاجتماعية التي كانت تتحكم في الحياة العامة في إسبانيا عند كتابة "Don Quijote de la Mancha" المعروف عالمياً باسم "دون كيخوت"، وأحياناً تحت تأثير الترجمة عن لغة وسيطة "دون كيشوت". فقد لجأ المؤلف إلى خدعة "الترجمة" لينفي عن نفسه مسبقاً أي اتهام قد يُوجه إليه إذا ما قابل هذا العمل استهجاناً من الجمهور، بل والدولة التي كان يخشاها بعد فشله في خدمتها وتسلق مناصبها، فقد ذكر ثرانتيس في أكثر من موضع، ولأسباب عدة أن هذا العمل منقول أو مترجم عن مخطوط لكاتب "موريسكي" هو "سيدي حامد بن الجيلي"، وإن كان هذا في رأينا راجعاً لحيلة فنية.

لكن لو أننا دققنا قليلاً في كلمات هذه الرواية التي لاقت نجاحاً منذ البداية ومع صدور طبعها الأولى ليس باعتبارها كذلك، أي رواية، بل باعتبارها "كتاب مغامرات" كما اعتقد قراء ذلك الزمان الذي ظهرت فيه، وهو أمر روج له كثير من المفكرين الإسبان أنفسهم، ولم يسمه كثير منهم "أديباً" لأنهم لم يكونوا يرونه كذلك، فقد كان فن الرواية مجهولاً حينها والكتب الأكثر انتشاراً كانت مجرد مغامرات للتسلية وليست للقراءة الجادة وإمعان الفكر، إضافة إلى أن فن الرواية لم تكن له قواعد معروفة، إلى أن جاء بيدرو كالديرون دي لا باركا في القرن السابع عشر ليقول إن هذا الكتاب لا

العامل الثاني الذي يؤكد على أهمية الترجمة يتعلّق بتوسيع آفاق الأفراد وجعلهم أكثر انفتاحاً. حين أقول هذا أفكر على وجه الخصوص بالإبداع عموماً وبالآداب خصوصاً. إذ تتيح لنا الترجمة اكتشاف أنماط سلوك أخرى قد تكون مختلفة عن أنماط سلوكنا، ولكن الأهم من ذلك هو أن الترجمة تفسح لنا المجال للوقوف أمام مرآة توفّر لنا طريقة رائعة لمعرفة الآخر ومعرفة الذات في الوقت نفسه. ففي كثير من الأحيان، عند قراءتنا قصة ما، عند دخولنا عوالم شخصيات رواية ما، أو انغماسنا في أبيات قصيدة ما، نشعر في الهروب من أنفسنا للدخول في عالم الآخر. هذا الأمر يخفّف عنّا متاعب الحياة اليومية ويُوفّر لنا ملجأً قابلاً للسكّتي. من البديهي أنني بحديثي هذا أدافع عن أهمية الإبداع قبل أي شيء آخر، ولكنه دفاعٌ عن الإبداع الذي تلعب فيه الترجمة دوراً أساسياً، ليس لأنها إبداعٌ ثانٍ ومختلف فحسب، بل لأنها الوسيلة لمعرفة أنواع مختلفة من الإبداع، أو بكلمات أخرى يمكننا القول إن الترجمة تُوسّع مدارك عالمنا الشخصي وعالمنا الثقافي الذي وُلدنا فيه، وتُظهر لنا صورة أكبر وأكمل لما يوجد خارج حدودنا اللغوية. بالنسبة إليّ، إن أهمية الترجمة تكمن في هذه النقطة تحديداً، أي تقدير الفرصة السانحة للمعرفة، ونتيجة لذلك إدراك وجود عالم أرحب يمكننا أن نتعلم منه الكثير.

وسأكتفي الآن بنقطة أخيرة، وهي أن الترجمة ليست فعلاً أنياً وثانويّاً، بل هي حاجة ثقافية واستراتيجية حضارية. إنني متيقنة من أن البعد الفلسفي للترجمة يكمن في كونها مجالاً يتيح لنا الانفتاح على العالم ومباشرة الحوار.

يعكس جنون الشخصية بقدر ما يسخر من الآخرين بسخريته من نفسه، وليكشف شيئاً لم يكن يره النقاد قبله في "دون كيخوت دي لا مانتشا"، أنها أول رواية مكتملة الأركان في تاريخ الكتابة.

في القرن السابع عشر الذي كانت فيه اللغة الإسبانية لغة عالمية نتيجة الفتوحات التي جرت بالوصول إلى العالم الجديد (الأميركتين) لم يهتم الإسبان بهذه الرواية اهتمامهم بغيرها من الأعمال الكبيرة، رغم أن ترجمتها إلى الإنجليزية على يد توماس شيلتون تمت عام 1612، أي بعد صدورها في إسبانيا بسبع سنوات فقط، ثم بعدها بعامين نقلت إلى اللغة الفرنسية عن طريق سيسار أودين، وإن كانت هذه الترجمات قد تعاملت مع الرواية أيضاً على أنها كتاب مغامرات مسلية فحسب، ربما تحت تأثير الرؤية الإسبانية لها في ذلك الوقت.

إلا أن قراءة "دون كيخوت" بنظرة فاحصة ونقدية سبرت أغوارها عالمياً جاءت في القرن التاسع عشر على يد الشاعر الألماني إنريك هين الذي تعمق في الرواية بحثاً عن مغزاها الكامن، ثم جاء من بعده ألماني آخر هو فريدريش شليغل ليكتشف الإبداع الحقيقي للكاتب الإسباني ميغيل دي ثرانتيس، ويعترف به مبدعاً لا يقل في قامته عن شكسبير أو غوته، ويقدمه للعالم مساهماً في الشهرة التي جعلت من هذه الرواية مرجعاً مهماً لكل من يريد غزو فن الرواية، ليكون للترجمة دور حاسم، ليس في ذبوع تلك الرواية، بل لوضعها على قمة الإبداع العالمي.

بعدها شاعت شهرة ثرانتيس وبطله "دون كيخوت دي لا مانتشا" أو "الفارس ذو الوجه الحزين"، واجتذبت هذه الشهرة مؤيدين وعشاقاً من جميع الأشكال والألوان، على رأسهم الروسي إيفان تورغينيف الذي قارن الرواية بمسرحية "هاملت"، وكذلك الإيطالي بيير مانزوني. ثم الفرنسيان بلزاك وستاندال، اللذان أعلننا صراحة أنهما تعلمنا كيف يمكن منح الشخصية الروائية ازدواجية فنية في العمل الأدبي من خلال "دون

كيخوت"، لأتهما اكتشفا بفضل ثرانتيس إنه في حياة كل إنسان عادي هناك "بطل" كامن يعيش داخله.

قبل أن يكتب الفرنسي غوستاف فلوبيير روايته التي تحمل اسم بطلته "مدام بوفاري" أكد أنه كان يحفظ "دون كيخوت" سماعاً قبل أن يتعلم القراءة، وإن بطلته والشكل الروائي الذي تتحرك فيه يعودان إلى الأدب الإسباني عامة و"دون كيخوت" بشكل خاص. وإنه تعلم من ثرانتيس كيف يصنع أبطاله من خلال قراءاته القديمة، وكيف ينشئ أشكالاً روائية معقدة من خلال تركيب الشخصيات وتحريكها في عالم مركب مثل ذلك العالم الذي ابتدعه ثرانتيس ليتحرك فيه بطله "دون كيخوت".

يستمر دور الترجمة الحاسم في مزيد من الشهرة الممتدة عبر العصور لرواية "دون كيخوت دي لا مانتشا"، في القرن العشرين استمر الإعجاب برائعة ثرانتيس حتى إن المسرحي الإيطالي بيرانديللو أعلن أن فكرة مسرحيته "شخصيات تبحث عن مؤلف" كانت نابعة من قراءته لهذه الرواية الإسبانية، واعترف كذلك بفضل مؤلفها على كُتاب كبار مثل توماس مان، وفلاسفة عظماء مثل نيتشه.

العكس تماماً جرى في وطن المؤلف، فإن الإسبان أنفسهم، ولنقل إن مثقفهم ومبدعهم، انتظروا حدوث كارثة 98 التي انتصرت فيها قوات الولايات المتحدة البحرية على الأسطول الإمبراطوري الإسباني في معركة كوبا الشهيرة عام 1898 التي أسقطت تلك الإمبراطورية "التي لا تغيب عنها الشمس" إلى الأبد. وخلال بحث الإسبان عن ملامح الهوية الوطنية وجدوا في ثرانتيس مؤلفهم الأثير وفي "دون كيخوت" مبتغاهم، وقرروا إخراج تلك الشخصية من مكانها الذي كمننت فيه في وطنها عقوداً طويلة في ظلال المغامرة والتسلية إلى النور مجدداً، ووضعوها علامة مميزة للشخصية الإسبانية، فكتب ميغيل أونامونو كتابه "حياة دون كيخوت وسانشو بانثا"، وكتب أورتيغا أي غاسيت كتابه "تأملات الكيخوتي". وكان كتاب "أورين" حول

البطل ذي الوجه الحزين بعنوان "رحلة دون كيخوت"، وبرزت التأملات النهائية والكشف عن هوية "دون كيخوت" في كتابات أميركو كاسترو عندما كتب "فكر ثربانتيس"، تحدث فيه عن حياة ثربانتيس و"دون كيخوت" بطله الذي لم يعتبره مجنوناً كما حاول البعض تفسير مواقفه، بل يرى أنه كان يخلق الكوميديا من السخرية من النفس، وأن الرواية تقدم إنساناً يصنع من نفسه بطلاً، ولديه القدرة على تحويل مجرى حياته بغض النظر عن رؤية المجتمع له.

أخيراً جاء الكاتب الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس ليلقي مزيداً من الضوء والكشف على ثربانتيس وبطله "دون كيخوت" من خلال شخصية جديدة ابتدعها هو على الطريقة نفسها التي ابتدعها ثربانتيس؛ فكان كتاب "ببير منراد، مؤلف الكيخوتي" ابتدع فيها شخصية مغامرة تعيد كتابة الرواية من جديد ولكن بطريقة مختلفة من خلال دعوة القارئ إلى تخيل شكل ثربانتيس من خلال قراءة الكلمات التي كتبها.

كل هؤلاء شاركوا بشكل أو آخر في صنع شهرة "دون كيخوت" عبر التاريخ، ومنحوه حياة خاصة جعلته ينطق بمختلف لغات العالم.

بينما كان كل هذا يحدث، فإن اللغة العربية لم تكن أبداً سهلة على لسان "دون كيخوت" بسبب تأخر العرب في ترجمته، وعندما اكتشفوه ترجموه عن الإنجليزية والفرنسية، من هنا جاء الخلط بين اسمه المنقول عن الفرنسية أو الإنجليزية "دون كيشوت" واسمه الإسباني الأصيل الذي يمكن نطقه وكتابته باللغة العربية بسهولة "دون كيخوت"، ثم جاءت آفة الرقابة على المطبوعات في مصر وغيرها من البلدان العربية، لتزيد الطين بلةً وتتسبب في مزيد من تغريب هذا البطل في اللغة العربية، فقد أجهضت الرقابة في مصر أول ترجمة متكاملة إلى اللغة العربية، تلك التي قام بها أستاذ الأدب الأندلسي، الدكتور عبد العزيز الأهواني. وكانت هذه الرقابة سبباً في إحصامه عن إصدار الجزء الثاني من الرائعة الروائية، ليتركنا حيارى أمام

ترجمات عربية أخرى نعتقد أنها لم تتمكن من نقل رائحة ثربانتيس و"رواية كل العصور" إلى العربية، أو جعل بطله "دون كيخوت" قادراً بالفعل على النطق بالعربية بشكل صحيح، أو بالتعبير بها عن نفسه كما يجب أو كما فعل بلغات أخرى.

لو تتبعنا هذا العمل الكلاسيكي الكبير منذ بداية صدوره لاكتشفنا أن ذبوعه وانتشاره كان بفضل الترجمة التي حاول المؤلف التخفي من ورائها ليأمن على نفسه من النقد وإمكانية اتهامه بالخروج على "قواعد المجتمع الراسخة"، وكأنه قد أعد مسبقاً دفاعه عن نفسه بادعاء أنه فقط نقل عملاً "موريسكيًا" وأن روايته في الحقيقة ليست سوى ترجمة لكتاب موريسكي ينطق بلسان آخر غير اللسان "القشتالي".

لتأتي بعد ذلك "الترجمة" لتلعب دوراً مهماً في انتشار "دون كيخوت"، وتضع هذا العمل في موضعه الحقيقي كأول وأبرز عمل راسخ في مجال الرواية، ولتحصل ميغيل دي ثربانتيس على اعتراف وطني ككاتب مهم، واعتراف عالمي أيضاً، أي جاءت شهرته والاعتراف بإبداعه من خارج الوطن بفضل الترجمة، ليكون بذلك قد حقق هدفه وطنياً بالهروب من الرقابة بادعاء أنه عمل مترجم، وأيضاً ليحقق الشهرة من خلال ترجمته إلى اللغات الأوروبية الأخرى التي كانت سائدة في ذلك الوقت: الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

الترجمة جسراً بين الثقافات.. نعم ولكن!

الدكتور وليد السويركي

تتعدّد الخطابات حول الترجمة وتتنوّع تبعاً لمنظورات مختلفة، لغويّة وثقافيّة وإيديولوجيّة، وأحد أبرزها ذلك الخطاب الإنسانيّ النزعة الذي ينصبّ على تبيان دور الترجمة ماضياً وحاضراً في التواصل الحضاريّ وتجسير الهوة بين الشعوب، مستدلاً بالشواهد التاريخيّة الكثيرة، ومبشّراً بقدرة الترجمة على أن تكون جسراً يسهم في الانفتاح على الآخر ويعزّز قيم التسامح والحوار. وإذا كان من غير الممكن إنكار دور الترجمة بوصفها جسراً يصل بين الثقافات المختلفة، فإنّ من المشروع، بل من الضروريّ، مساءلة حركة العبور على هذا الجسر، من حيث طبيعتها وحجمها واتّجاهها الغالب، وآليّات التحكّم بها؛ أيّ مساءلة الحدود التي يفرضها الواقع على هذا الدور، ليس من باب القول باستحالته، وإنّما لمعينة بعض الشروط والظروف الموضوعيّة والسياقات الثقافية التي يخضع لها. فالترجمة لا تحدث في الفراغ، وليست دائماً فعلاً تقنياً محايداً وبريئاً، يقع خارج السياق الثقافيّ والتاريخيّ، أو خارج علاقات القوة، بل هي تندرج في سياق معوّلّم، لا يزال يشهد آثار التجربة الاستعماريّة الماضية، وأشكالاً جديدة من الهيمنة الثقافية والاقتصادية، بما يتجاوز ذات المترجم، وتتداخل فيه تأثيرات وعلاقات وصراعات تضمّ شبكات واسعة من الفاعلين السياسيين والإيديولوجيين، والممولّين، والناشرين، والوكلاء الأدبيين، والمسوّقين والصحافيّين وغيرهم.

صحيح أنّ الثقافات واللغات مندورةٌ لتبادل الترجمات في ما بينها، وأنّ

المتكافئ والخاضع لعلاقات القوة، مستعرضين أهم مظاهر الخلل في ميزان الترجمة بين هذين الفضاءين الثقافيين وهي:

أولاً: أن ما يترجم من اللغة الفرنسية إلى العربية يتراوح، حسب دراسة للباحث الفرنسي ريشار جاكسون، بين 12% و20% من مجمل ما يترجمه العرب، حصّة الأدب منها الثلث تقريباً³. وتشمل هذه الترجمات معظم الحقول والمجالات المعرفية، من أدب، وفلسفة، ونقد وعلوم إنسانية وتطبيقية، وعادةً ما تُستقبل الأعمال المنقولة عن الفرنسية بقدر كبير من الاعتراف المسبق بأهميتها، مكلّلةً بهالة انتمائها للمركز، ومشحونةً بالمكانة الرمزية التي تحتلها الثقافة المصدّرة. في المقابل، تشكّل الأعمال المترجمة من العربية، وهي اللغة الخامسة أو السادسة الأكثر استخداماً في العالم، ما بين 0.6 إلى 0.9% ممّا تترجمه فرنسا، مقابل 4.2% للأدب الياباني مثلاً. (أيّ) إنه إزاء كل 20 كتاباً فرنسياً يترجم إلى العربية، يترجم كتاب عربيّ واحد الى الفرنسية). وتكاد هذه الترجمات تقتصر على الرواية والشعر، وبعض الكتب الدينية الموجهة للجمهور المسلم في فرنسا. فنادرة جداً هي الترجمات من العربية في حقول الفكر والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بحيث يبدو الأمر وكأنّها لا تنتج ممّا يستحق النقل غير الأدب.

ثانياً: أنّ قدراً كبيراً من الترجمات من الأدب العربيّ الحديث إلى الفرنسية، هي ترجمات تصديرية، بمعنى أنها تتمّ في الغالب بمبادرة من وسطاء عرب أو فرنسيين من أصول عربية، يتمثلون في ناشرين، ومترجمين، وأكاديميين، أو بدعم مؤسسيّ سواء من بعض السفارات العربية أو بالشراكة مع مؤسسات فرنسية، وهذا أمر لا يطرح مشكلةً في حدّ ذاته، لكنّه يشير إلى أنّها لا تمثل في كثير من الأحيان استجابةً طبيعيةً لاهتمام حقيقيّ من الناشرين والقراء الفرنسيين.

مصيرها هو تلك العلاقة المشتركة التي تثرى كلّ واحدة منها بما تستقبله من غيرها عبر الحوار والتبادل، ووسيلتها في ذلك الترجمة، لكنّ التاريخ كما الحاضر يشهدان بأن الترجمة قد تكون أيضاً أداة في خدمة الهيمنة، وأنّ الخطاب الإنسانيّ النزعة حول الترجمة قد يستخدم كقناعٍ يخفي آليات الهيمنة وتباينات القوة، وعدم التكافؤ في التبادلات الثقافية بين المراكز العالمية المهيمنة والأطراف، كما تبين دراسات الترجمة من منظور ما بعد الكولونيالية¹.

وفي ما يخصّ الترجمة الأدبية تحديداً، فقد بيّنت الباحثة الفرنسية باسكال كازانوف في كتابها «الجمهورية العالمية للأدب»² حالة الصراع والتنافس التي تشهدها ساحة الأدب في العالم بين مختلف الكتاب، بمن فيهم أبناء المستعمرات السابقة، من أجل نيل الاعتراف، وأوضحت أن المراكز الأدبية الغربية مثل باريس ولندن ونيويورك هي من يتحكّم بالآليات التي تمنح هذا الاعتراف، وعلى رأسها حركة الترجمة غير المتكافئة بين لغات المركز المهيمنة (الإنجليزية والفرنسية على وجه الخصوص)، التي تصدر أكثر بكثير مما تستقبل، ولغات الأطراف التابعة، التي تأخذ أكثر مما تعطي، ومنها اللغة العربية. ولعلّ أوضح مثال على ذلك حالتنا نجيب محفوظ وجوخة الحارثي؛ فحتى 1988، سنة فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل في الأدب، كانت قد ترجمت له أربع روايات فقط إلى الفرنسية، وبعد الفوز ترجمت له 36، أمّا جوخة الحارثي، فلربّما ما كانت لتترجم إلى الفرنسية، لولا فوزها بجائزة مان بوكر البريطانية.

تبادل غير متكافئ

نطرح حركة الترجمة بين اللغتين العربية والفرنسية مثلاً للتبادل غير

Richard Jacquemond. Les flux de traduction entre le français et l'arabe depuis les années - 3 1980 : un reflet des relations culturelles. Giséle Sapiro :Translatio Le marché de la traduction en France l'heure de la mondialisation, CNRS Editions, 2016

1 - انظر كتاب « الترجمة والإمبراطورية»، دوغلاس روبنسون، ترجمة ثائر علي ديب، دار الفرق، دمشق، 2009.

2 - الجمهورية العالمية للأدب، باسكال كازانوف، ترجمة أمل الصبان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.

ثالثاً: عزوف دور النشر الفرنسية الكبرى، التي تستأثر غالباً بالحصّة الأكبر من القراء بفعل ما تتمتع به من موارد اقتصادية ومكانة رمزية ونفوذ إعلامي، عن ترجمة الأدب العربي، فعلى سبيل المثال نشرت سلسلة «من العالم أجمع» التي تصدرها دار غاليمار المرموقة: 2271 كتاباً، حصّة العرب منها 43 عملاً فقط، بينما صدر نحو نصف الترجمات من الأدب العربي عن دار آكت سود ضمن سلسلة «سندباد» التي يشرف عليها الباحث والكاتب السوريّ فاروق مردم بيك، مثلما تصدر نسبة لا يستهان بها أيضاً من الترجمات، خصوصاً من الأعمال الشعرية عن دور نشر صغيرة، هامشية، وذات توزيع محدود، مع استثناءات قليلة، أبرزها أعمال الشاعر الفلسطينيّ محمود درويش، حيث أعيد طبع مختاراته المنشورة سنة 2000 بعنوان «تضييق بنا الأرض» في سلسلة الجيب Gallimard / Poésie الشهيرة خمس مرّات، «الأمر الذي يعني مبيعات تفوق العشرين ألف نسخة، وهو رقم أعلى ممّا يحصل عليه معظم الشعراء الفرنسيين الأحياء، إن لم يكن كلّهم. كما أعيد طبع العديد من دواوينه التي نشرتها دار آكت سود، ويمكن تقدير مبيعاته في اللغة الفرنسية بأكثر من مائة ألف نسخة»⁴. أمّا الرواية العربية الوحيدة التي دخلت قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في فرنسا فهي «عمارة يعقوبيان» للكاتب علاء الأسواني، إذ بيع منها أكثر من 300 ألف نسخة. بينما تتراوح أرقام مبيعات أعمال نجيب محفوظ، الكاتب العربي الأكثر حضوراً على رفوف المكتبات الفرنسية، من خلال 40 عنواناً، بين 10 و30 ألف نسخة في المتوسط.

لكنّ انعدام التكافؤ بين كفتي ميزان الترجمة الأدبية بين العربية والفرنسية، لا يتوقف عند أعداد الأعمال المترجمة وأرقام مبيعاتها، إذ تتجلى آليات الهيمنة وعلاقات القوة بصورتها الأوضح والأعمق، في عملية اختيار الأعمال المترجمة والنهج المتبع في ترجمتها وتلقّيها، إذ ما زال الأدب العربي الحديث يعاني كي يحجز مكاناً طبيعياً مستحقاً في مشهد النشر الفرنسي،

إلى جانب آداب الأمم الأخرى، وكي يُقرأ بوصفه أدباً قبل كلّ شيء. فهو يُقرأ في أغلب الأحوال بوصفه وثيقة سوسولوجية أو أنثروبولوجية تشهد على أحوال المجتمعات العربية في تحولاتها وأزماتها الاجتماعية والسياسية، دون التفات إلى «أديبته» وجماليّاته الفنية، وما زال يرتبط في الخيال الجمعيّ الفرنسيّ بسلسلة من الأحكام المسبقة حول العرب والمسلمين. ترسّخت عميقاً في أذهان القراء والناشرين بتأثير ممتدّ ومتوارث منذ «ألف ليلة وليلة» وكتابات الرحّالة والمستشرقين، بحيث يُنظر غالباً من الأعمال الأدبية العربية الحديثة أن تقدّم تلك الأجواء الغرائبية والعوالم السحرية المغلفة بالأسرار، ما يفسر ربّما النجاحات الاستثنائية، جماهيرياً، لأعمال مثل روايتي «عمارة يعقوبيان» لعلاء الأسواني، و«بنات الرياض» لرجاء الصانع.

فالثقافة الفرنسية المستقبلية تسعى، من موقع المركز المهيمن، إلى التحكّم إلى حدّ كبير في اختيار ما يترجم، خصوصاً من خلال برامج دعم الترجمات التابعة لوزارة الخارجية الفرنسية، والمركز الوطنيّ للكتاب، ومعهد العالم العربيّ، أو عبر توجّهات دور النشر الخاصة والوسطاء من وكلاء أدبيين وخبراء، بما يستجيب لذائقة القارئ الفرنسيّ وتوقّعاته ويتلاءم مع الصورة النمطيّة للثقافة العربية المرسّلة. ومثال ذلك ما ذكره ريشار جاكمون من أنّ أعمال نجيب محفوظ التي تترجم عادةً هي تلك التي تليّ توقّعات القارئ الأوروبيّ الذي يتطلّع إلى صورة بانورامية للمجتمع المصريّ، وتندرج ضمن تقاليد المدرسة الواقعية الأوروبية، بينما تُستثنى أعماله القصصية التي تنزع إلى قدر من التجريب ولا تليّ تلك التوقّعات⁵.

ولأنّ التمثيلات النمطيّة الموروثة عبر تاريخ طويل من العلاقات الشائكة بين فرنسا والعالم العربيّ، بما فيها الماضي الاستعماري، ما زالت تلقي بظلالها على تلقي الأدب العربي، وتضاف إليها راهناً، النظرة إلى المنطقة العربية بوصفها فضاء يعجّ بالعنف والحروب الأهلية، وعالماً معقداً يصعب فهمه

4 - ريشار جاكمون، الأدب الفلسطيني مترجماً إلى الفرنسية: تاريخه وأثره، مجلة ألف، العدد 38، 2018.

5 - انظر «الترجمة والإمبراطورية، مرجع سابق.

ولا ينتج سوى التطرف والإرهاب، فإنَّ أساليب التسويق والترويج للأدب العربيّ المترجم تخضع لهذه التمثيلات، فتُغيَّر العناوين، وتصمَّم الأغلفة، وتصاغ كلمات الناشر، والنصوص التعريفية بالكتب على نحو يستجيب لذائقة القراء، فتحضر صور النساء المحجَّبات، ورمال الصحراء، ويتركز الحديث على المحرّمات والعنف، والمذات الحسية وغيرها.

كما تتجلّى مظاهر الهيمنة التي يمارسها المركز، في الحالة الفرنسية، في الطريقة التي تتعامل بها المؤسسة الأدبية الفرنسية مع الأدب الذي يكتبه عرب أو مهاجرون من أصول عربية بالفرنسية مباشرة، إذ يقدّم في وسائل الإعلام، والأوساط الأكاديمية وعند الناشرين بوصفه ممثلاً للثقافة العربية، فيساهم إلى حدّ ما في حجب الترجمات العربية وتهميشها، وكأنّ لسان حالهم يقول: ما حاجتنا إلى ترجمة أدب مغربيّ أو جزائريّ أو لبنانيّ مثلاً ولدينا كتاب من هذه البلدان يكتبون بالفرنسية. مثل: الطاهر بن جلّون وأمين معلوف وشريف مجدلاني وياسمينة خضرا وليلي سليمان وكمال داود وغيرهم؟

الترجمة التدينيّة أداة للهيمنة

تؤدي أساليب الترجمة واستراتيجياتها دوراً كبيراً في طريقة تقديم الأعمال العربية إلى القراء الفرنسيين، وهي أساليب يغلب عليها تقليد استشراقي راسخ منذ زمن طويل، يضيف على المترجم صفة الوسيط المرجعيّ والخبير المخوّل بتدجين النصّ الأجنبي وإخضاعه لمعايير ثقافة المركز، حيث لا تقف سلطته عند فعل الترجمة، بل تتعداه في كثير من الأحيان إلى إعادة الكتابة، إلى درجة تجعل بعض المترجمين الفرنسيين يتباهون بأن ترجماتهم تتفوّق على الأصل، وعلى نحو يذكر بحكاية شكوى المترجم الألماني هارتموت فندريش خلال حوار أجراه معه المحرر الثقافي محمد إسماعيل، ونشر في صحيفة «الإمارات اليوم» بتاريخ 18 أكتوبر/ تشرين الأول 2015، قائلاً: «لم أتلّق مكلمة شكر واحدة على ما بذلته لفترة طويلة، تجاوزت العقود

الثلاثة». نحن في الحالين أمام شعور بالتفوق وبإسداء الجميل، يتملّك المترجم الغربي، عندما ينقل عملاً عربياً إلى لغته، يجعلنا نتساءل مع عبد السلام بنعبد العالي الذي أورد هذه الحكاية في كتابه «انتعاشة اللغة»: «لو كان المترجم الألمانيّ قد نقل أعمالاً عن لغات أخرى غير العربية، عن الإنجليزية مثلاً أو الفرنسية، هل كان سينتظر كلمات شكر؟»⁶ ويقابل هذا الإحساس بالتفوق لدى المترجم الأوروبيّ عموماً، والفرنسيّ خصوصاً «ميل بعض المؤلفين العرب إلى كتابة نصوصهم في أفق انتظار القارئ الفرنسيّ، بشكلٍ يوحي بأنهم لا يكتبون إلّا أملاً في أن يُترجموا» كما يقول ريشار جاكسون.⁷

وهذا النهج التديني في الترجمة، ليس جديداً، بل يعود إلى زمن بعيد ويخترق تاريخ الترجمة في الغرب وخصوصاً في فرنسا؛ فالقدّيس جيروم، شفيع المترجمين في الثقافة الغربية، يستخدم في القرن الرابع الميلادي لغة الفاتحين في وصف الترجمة، مشدداً على ضرورة أن يقاد النصّ الأجنبي أسيراً إلى اللّغة الهدف. وكان الفيلسوف الألماني يوهان غوتفريد فون هردر قد انتقد، في نصّ يعود إلى القرن الثامن عشر، النهج الفرنسيّ في الترجمة الذي يرى أنّه: «ينبغي إدخال هوميروس إلى فرنسا ميسّحاً بزي فرنسيّ لثلا يؤدي أعين الفرنسيين، وينبغي أن يُترك لهم أن يخلقوا لحيته الوقورة ويزعوا كسوته البسيطة؛ ينبغي أن يتعلّم العادات الفرنسية وأن يسخر منه بوصفه بربرياً كلّما بدا أنّ وقاره الفلاحي لا يزال بارزاً»⁸.

وقد قاد هذا التوجّه إلى ضرب من الترجمات التحريفية التي لا ينجم التشويه فيها عن أخطاء سبها الجهل باللّغة أو الثقافة المنقول عنها، بل عن التحيز الإيديولوجيّ أو نزعة الهيمنة والرغبة في تدجين الأصل أو توطينه. لقد سعينا من خلال عرض واقع حركة الترجمة بين العربية والفرنسية إلى تبيان أن الطموح إلى أن تكون التّرجمة جسراً للتواصل بين الشعوب

6- عبد السلام بنعبد العالي، انتعاشة اللغة، كتابات في الترجمة، منشورات المتوسط، إيطاليا، 2021.

7- السابق نفسه.

8- انظر «الترجمة والإمبراطورية، مرجع سابق.

الترجمة في الوطن العربي..

إنجازات وتحديات

الدكتورة آمال بشيري

تعد الترجمة نشاطاً إنسانياً وفكرياً وثقافياً موعلاً في القدم، عرف تطوراً مستمراً مع تطور الزمن، وتزامن أيضاً مع تطور اللغات الأجنبية المختلفة، ومع ظهور العلوم وحركة النشر، إذ تحولت الترجمة من فعل تواصل بسيط إلى علم قائم بحد ذاته مؤطر بنظريات ومعايير علمية دقيقة، يستخدم فيها علم اللغة وعلم التفسير والتأويل، وذلك كله يهدف إلى تحقيق التواصل والاكتشاف والتطور بين المجتمعات.

ما يؤكد لنا التاريخ أن الترجمة وبغض النظر عن أي جدلية حول ماهيتها، فهي ضرب من الإبداع والفنون، وقد انتبه الغرب إلى ذلك وسبق الدول العربية في هذا المجال ليس فقط من باب الاكتشاف، وإنما أيضاً من باب التطوير والابتكار.

وبعرض بعض الإحصائيات في مواجهة لواقع الترجمة العربية غير المشجع رغم كل الجهود المبذولة في هذا المجال، خاصة في السنوات الأخير، يحق لنا وبكل موضوعية التساؤل حول الأسباب المتعددة التي أدت إلى تأخر الترجمة في الوطن العربي مقارنة ببقية دول العالم، وعن الحلول المستعجلة التي على المختصين طرحها لتدارك الوضع، والنهوض بالترجمة بكونها علماً، وأداة معرفية مهمة في عالم تسيطر عليه المعلومة وسرعة الإنجاز بغرض التحقق على صعيد المجتمعات البشرية المتقدمة.

قبل التطرق إلى تاريخ الترجمة في العالم على أنها نشاط معرفي وضعت من أجله العديد من النظريات حتى تحولت إلى علم قائم بحد ذاته، علينا

وفرصاً لتعزيز الانفتاح على الآخر يصطدم غالباً بتباينات القوة، ونزعة الهيمنة، وانعدام التكافؤ في التبادلات الثقافية بين الشمال والجنوب أو الشرق والغرب، وأن الاحترام المتبادل بين الثقافات، وتعزيز المشتركات الإنسانية، والتقريب بين الأمم سيظلّ حلماً بعيد المنال ما دامت ثنائيات القوة والضعف والمركز والأطراف هي ما يحكم حركة الترجمة، بحيث يفرض من يملك أسباب القوة الاقتصادية والسياسية والثقافية رؤيته وقيمه وأفكاره على الآخرين. وأنه لن يكون بوسع الترجمة أن تؤدّي دورها المأمول ما لم يتحرّر النشاط الترجميّ من التحيزات المسبقة ومن نزعة التمركز على الذات، وما لم يتحرّر الخيال من استهاماته حول الذات والآخر المختلف، ومن أوهام التفوق اللغويّ والحضاريّ. فلا بد إذن من تعزيز أخلاقيات ترجميّة تتأسس على احترام الآخر ومقاومة الرغبة في تملكه، وتدفع باتجاه تقبله في اختلافه. فالترجمة تعلّمنا قبل كلّ شيء أنه ما من لغةٍ كاملةٍ وما من ثقافةٍ يمكنها أن تكتفي بذاتها، وأنّ «المرء، حين يحلّ في بلدٍ أجنبيٍّ تماماً، يدرك مهما كان إحساسه بالغرابة أو الغرابة أنه لم يخرج أبداً من نطاق الإنسانية الواحدة»، كما يقول بول ريكور.

بتعريف الترجمة اصطلاحاً ومعنى ومفهوماً وظليفاً. اصطلاحاً تعد الترجمة إحدى الممارسات البشرية التي وُجدت منذ القدم، وتهدف إلى تفسير المعاني التي تتضمنها النصوص، وتحويلها من إحدى اللغات (لغة المصدر) إلى نصوص بلغة أخرى (اللغة المُستهدفة).

أما تعريف الترجمة لغوياً، فنجد أن كلمة ترجمة على وزن "فعللة"، والمصدر هو ترجم "فعلل"، والجمع هو "تراجم"، واسم الفاعل منها هو "ترجمان"، ولتلك الكلمة أكثر من معنى في اللغة العربية، فهي تعني تبيان الاستيضاح والتبيان، وفي مواضع أخرى تعني التَّعْرُفُ على سيرة أحد الأشخاص، وكذلك تعني عملية تحويل للكلام إلى أفعال.

أما في ما يخص أنواعها، فقد صنفت إلى أنواع عدة منها الترجمة العلمية التي تعد أهمها وأبرزها؛ إذ يقوم المترجم من خلالها بترجمة نص علمي من لغة إلى أخرى، وفي هذا النوع يجب أن يلتزم المترجم بترتيب النص، فلا يقوم بإجراء أي إضافات أو تغييرات عليه. ولكي تكون الترجمة العلمية صحيحة يجب أن يكون للمترجم اطلاع على العلم الذي يترجم منه، كما يجب أن تكون لديه معرفة بالمصطلحات العلمية الدقيقة.

أما الترجمة الأدبية، فهي نوع من أنواع الترجمة التي تدخل باب الإبداع بامتياز، إذ تقوم على ترجمة النتاج الأدبي بين الثقافات، فهي تعد من أصعب أنواع الترجمة، إذ يقوم المترجم من خلالها بترجمة النص مستخدماً الأسلوب الأدبي، ولا يجب أن يتم نقل النص بالترتيب كما هو موجود، وإنما يتصرف في المعنى بشكل حر ومنطقي أيضاً، ولذلك يجب أن يكون هذا الأخير مطلعاً اطلاعاً دقيقاً على النص الأصلي وعلى حياة المؤلف، وعلى الظروف التي دفعته لإبداع ذلك النص، وذلك لكي يفهم إحساسه، ودوافعه، ويقدر على ترجمته بشكل دقيق لا يخرج عن مفهوم الإبداع وشروطه.

أما الترجمة الأكاديمية، فهي أيضاً تتطلب شروطاً صارمة لإنجازها حسب المعطيات العلمية الصحيحة، وتتطلب هذه الترجمة دقة كبيرة، من ترجمة الأوراق الأبحاث العلمية، إذ يتوجب على هذا المترجم نقل النص كما هو

دون أن يزيد أو ينقص أي حرف لأن ذلك سيخل بمعنى النص ومفهومه. كما نجد الترجمة الفورية التي تعد من أنواع الترجمة؛ إذ تتطلب العديد من الشروط لإنجازها على أكمل وجه، منها السرعة وفتنة المترجم وضرورة معرفته باللهجات المحلية للغة التي يترجم منها.

وبتعريف الترجمة بأوجهها المختلفة لا ننسى أن نشير إلى الهدف منها والمتمثل إجمالاً في التواصل بين الثقافات ونقل المعلومات وتحقيق التكيف الحضاري والتأثير الحضاري، وغيرها من الأهداف التي تتطور مع تطور أحداث التاريخ ومتطلبات العصور.

عبر التاريخ

تعد ترجمة الكتاب المقدس إلى اليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد أول ترجمة رئيسة بالنسبة للعالم الغربي. وتعرف هذه الترجمة باسم "السبعينية"، نسبة إلى عدد العلماء الذين كلفوا بترجمة الكتاب المقدس في الإسكندرية بمصر، لذا اعتبر دور المترجم في ذلك الوقت كجسر لنقل المعارف من لغة إلى أخرى.

كما برز كثير من المترجمين الغربيين عبر مختلف العصور القديمة والحديثة، ولعل أبرزهم هو الخطيب الروماني شيشرون (106 - 43 قبل الميلاد)، والذي تنسب إليه أقدم مدرسة من مدارس الترجمة، والتي تقوم على حرية النقل مع التمسك بالقيم البلاغية والجمالية في التعبير، وهناك أيضاً الراهب جيروم سافرونيك (340 - 430 ميلادية) الذي اشتهر بترجمته للإنجيل من اللغة الإغريقية إلى اللغة اللاتينية، كما نجد أيضاً الإيطالي ليوناردو ارتينو (1374 - 1444 ميلادية) الذي ركز على ضرورة نقل خصائص النص الأصلي نقلاً تاماً، ومن بعده جاء إتين دوليير (1509 - 1586) بمنهجه الذي عرف بالمنهج التصحيحي في الترجمة منادياً بضرورة أن يفهم المترجم محتوى النص الأصلي جيداً، وأن يدرك قصد وهدف المؤلف الأول.

عموماً، عرفت الترجمة خارج الوطن العربي في العصر الحديث، تطوراً

ملحوظاً في شتى المجالات بداية من العلوم النظرية والتطبيقية لفنون الأدب وغيرها، وباتت أحد العلوم الأساسية لتطور أي مجتمع يعتمد في تقدمه على مواكبة عصر المعلومات والتكنولوجيا والابتكار العلمي.

تاريخ الترجمة في الوطن العربي

عاش العرب مع جيرانهم من الفرس والروم وأقوام أخرى، وامتد التأثير العربي في مختلف مجالات الحياة، إذ ساهم نشاطهم التجاري في توسيع نطاق تواصلهم مع جيرانهم، ما ولد العديد من الآثار على المستويات اللغوية والثقافية، وسهلت الترجمة النقل الشفوي والكتابي بين لغات هذه الأمم ولغة العرب الذين أبدوا اهتماماً كبيراً بالترجمة منذ بداية عصر فجر الإسلام، والذي نشطت خلاله عملية الدعوة إلى الإسلام خارج حدود شبه جزيرة العرب، وبداية الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين.

وفي عصر الدولة الأموية تمت ترجمة وتعريب الدواوين ضمن نظام عربي في الحكم، ثم تزايد هذا الاهتمام بالترجمة في العصر العباسي، وذلك بسبب الفتوحات الواسعة، ما تطلب ضرورة التواصل المستمر مع المجتمعات الأخرى، فظهرت العديد من ترجمات العلوم اليونانية والأدب الفارسية وتشير بعض المصادر إلى أنه تم تأريخ الترجمة عند العرب انطلاقاً من نشر الإسلام وذلك راجع لتزايد نشاط الترجمة من خلال مراسلات الدعوة للأمم غير عربية، فقد برزت أسماء عديدة تحت صفة المترجم في تلك الحقبة، أشهرهم زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي الذي يعتبر أول مترجم في الإسلام، وورد في المصادر أنه كان يتقن اللغات السريانية والفارسية واليونانية.

وبلغت حركة الترجمة أوجها عند العرب في عصر الخليفة هارون الرشيد الذي أولى اهتماماً بالغاً بالمترجمين الذين كان أشهرهم حنين بن إسحق، وثابت بن قرة، ويوحنا بن البطريق، وابن الحمصي، وابن المقفع، وذلك راجع لإتقانهم للغتين العربية والسريانية، وخبرتهم بالعلوم والمجالات التي كانوا يترجمون فيها. كما يجب الإشارة إلى أن حركة الترجمة خلال العصر

العباسي لم تكن تقتصر على النقل إلى اللغة العربية فقط، بل نقل الكثير من المؤلفات العربية إلى اللغات الأجنبية.

وتعد الأندلس منطقة جغرافية وحضارية عربية نقطة تحول مهمة للترجمة عن اللغة العربية، فمن خلالها مثلاً ظهرت المحاولات الأولى لترجمة القرآن سنة 1130 من قبل روبرت القوطي.

وبالتطرق إلى تاريخ الترجمة عند العرب وتحديدًا في العصر الحديث، لا يمكن تغيب الجهود الكبيرة التي بذلها محمد علي في مصر، إذ تعد المنعطف الثقافي المهم وذلك من خلال ترجمة المعارف في مجالات أخرى غير الدينية، إذ أسس مدرسة الألسن في مصر ووضع على رأسها رفاعة الطهطاوي (1801 - 1873)، وترجمت خلال هذه الفترة العديد من الكتب الأجنبية، خاصة عن الفرنسية وشملت موضوعاتها العديد من المجالات.

كما ابتعث محمد علي باحثين وطلبة إلى أوروبا، وتمت ترجمة مصادر أجنبية مهمة مثل تاريخ الفلاسفة اليونانيين، وتاريخ ملوك فرنسا، وبلغ عدد الكتب المترجمة على يد خريجي مدرسة الألسن 2000 كتاب في مختلف المعارف.

جهود الترجمة العربية

يتطلب الحديث عن تاريخ حركة الترجمة المعاصرة التطرق إلى الجهود المبذولة في هذا الحقل الذي يتطور شكلاً ومضموناً مع ظهور العولمة، وتنافس الشعوب على تحقيق القدر الأكبر من رصيد المعرفة العالمية التي تخص كل المجالات، ولا يتم تحقيق الرصيد المعرفي من دونها.

لعبت الترجمة في العصر الحديث، عصر المعلومات، دوراً مفصلياً في رفع المستوى العلمي والثقافي في الوطن العربي عموماً، ورغم الجهود المبذولة في هذا المجال بالدول العربية إلا أنه تبرز، وبشكل جلي، فوارق بين حركة الترجمة في الوطن العربي والعالم الآخر، فقد أحصت المنظمة العربية للترجمة والثقافة ما تُرجم من المؤلفات الأجنبية في الفترة الممتدة بين عامي

1970 و1980، فتيين أن مجموعها 2840 كتاباً، منها 62٪ تُرجمت في مصر، و17٪ في سوريا، و9٪ في العراق، و5.4٪ في لبنان. كما تبين من هذا الإحصاء أن نسبة كتب العلوم الأساسية والتطبيقية المترجمة لا تزيد على 14٪، بينما بلغت نسبة ما ترجم من كتب الآداب والفلسفة والعلوم الاجتماعية ما يزيد على 70٪.

ومع هذه الإحصاءات غير المبشرة تجب الإشارة إلى أن حركة الترجمة لم تبلغ النضج والدقة من ناحية سلامة اللغة، ومطابقة الكتاب المترجم للأصل من ناحية المعنى، ولكن تغير الوضع بعدما تم تنظيم حركة النشر في الوطن العربي من خلال إنشاء مؤسسات رسمية تشرف على اختيار الكتب الأجنبية لترجمتها، وتسلمها لمترجمين محترفين، كما أعيد النظر فيما يترجم لإصلاحه، وبدأت تظهر كتب مترجمة إلى اللغة العربية بصورة جيدة. وتتلخص أهداف الترجمة في الوطن العربي في التأكيد على حيوية اللغة العربية، وقدرتها على التعبير عن حاجات العصر.

مشاريع الترجمة في العصر الحديث

بدأ إحياء عملية الترجمة في الوطن العربي مع نشأة الدولة الحديثة في مصر على يد محمد علي باشا. واقترنت حركة الترجمة بالمسار التعليمي وإنشاء المدارس المتخصصة في اللغات، وتصدرت مصر وبعدها لبنان الدول العربية في هذا المجال تزامناً مع ظهور حركة النشر ودور النشر الخاصة والحكومية، منها لجنة التأليف والترجمة والنشر التي أنشئت في مصر عام 1914، والتي هدفت إلى الارتقاء بالتعليم من خلال تأليف الكتب العلمية لطلاب المدارس، والارتقاء بالمجتمع وثقافته من خلال التوسع المنظم في تأليف وترجمة الكتب في مختلف المجالات، إذ ترجمت للجنة العديد من الكتب الموسوعية الغربية مثل تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراند راسل، ومجموعة من أمهات الكتب العلمية والأدبية والتربوية. وقد ساهم عمل اللجنة في إعداد جيل متمكن من المترجمين العرب، ووضع قواعد لتعريب

المصطلحات العلمية المترجمة أو تقريبها من العربية، وهي عوامل ساهمت في دفع عملية الترجمة في الوطن العربي.

كما نجد "مشروع الألف كتاب الأول والثاني" الذي ظهرت باكورة إصدارته عام 1955، بإشراف الإدارة الثقافية التابعة لوزارة التعليم المصرية، واهتم بأمهات الكتب العالمية والكلاسيكيات، وشمل بالعلوم التطبيقية والمعارف العامة والفلسفة وعلم النفس والديانات والعلوم الاجتماعية. ليتحول هذا المشروع عام 1986 تحت إدارة الهيئة المصرية العامة للكتاب، وقد اهتم بترجمة الكتب الحديثة كمحاولة للحاق بالثورة العلمية والثقافية العالمية، وقسمت إصداراته إلى 19 فرعاً معرفياً. وإلى جانب هذا، يبرز الدور المهم في حركة الترجمة الذي لعبه المركز القومي للترجمة التابع للمجلس الأعلى للثقافة الذي أطلق المشروع القومي للترجمة إحياء لحركة الترجمة المنظمة، والذي قدم أول إصداراته للقارئ العربي سنة 2000، ليحتفل في سنة 2006، بإصدار 1000 كتاب.

بينما انطلقت المنظمة العربية للترجمة سنة 1999 في بيروت، بهدف نقل المعارف ونشر الفكر العالمي وتعزيز اللغة العربية، وهي تعمل على تحقيق طفرة نوعية وكمية في نشاط الترجمة على الصعيد العربي. ثم تلاها مركز البابطين للترجمة عام 2004 الذي استطاع في فترة وجيزة أن يسهم في تشجيع حركة الترجمة، سواء من حيث إصداراته أو من حيث الترويج للأهداف والأنشطة التي يقوم بها. كما ظهرت في فترات لاحقة مؤسسات رسمية في الدول العربية أولت اهتماماً خاصاً للترجمة، لاسيما في الإمارات. وبالتوازي مع ظهور تلك المبادرات القيمة في مجال الترجمة في الوطن العربي، والمتمثلة في توجيه حركة الترجمة بشكل منظم وانتقائي ولتشجيع المترجمين على النهوض بمهاراتهم في هذا المجال، أطلقت جوائز للترجمة مثل جائزة أركنساس للترجمة العربية، وجائزة خادم الحرمين الشريفين العالمية للترجمة، وجائزة بانيبال للترجمة الأدبية من الإنجليزية للعربية، وجائزة ترجمان التي أطلقتها الشارقة، مع منحة الترجمة التي أطلقتها هيئة الشارقة للكتاب في معرض الشارقة الدولي للكتاب. وتنامى دور دولة الإمارات في

مجال الترجمة، إذ فتحت باب إنشاء دور النشر الخاصة وتشجيعها على نشر الكتب المترجمة، بالإضافة للجهود التي تبذلها مؤسسات رسمية مهتمة بالترجمة والنشر. كما تم تأسيس العديد من مشاريع الترجمة الكبيرة، منها مشروع "كلمة" في أبوظبي، لتعزيز الترجمة في الوطن العربي. ومن المبادرات في دبي برنامج "ترجم" الذي هدف إلى إثراء المكتبة العربية بأفضل ما قدمه الفكر العالمي من أعمال في مجالات شتى عبر ترجمة أعمال أجنبية إلى العربية.

صعوبات وتحديات

بعد استعراض كل هذه المبادرات في حقل الترجمة في الوطن العربي والتي تكلف جهوداً علمية وفكرية ومالية كبيرة؛ نصطدم بأرقام وإحصائيات محبطة رغم تضاربها، إذ تشير إلى ترجمة كتاب واحد لكل مليون عربي سنوياً، في حين تترجم اليونان وحدها خمسة أضعاف ما يترجمه الوطن العربي، في الوقت الذي ارتفعت فيه نسبة الشباب العربي المتعلم من 63,9% إلى 76,3% في السنوات الأخيرة، وهو ما يؤكد ضرورة إشباع رغبته في القراءة والاطلاع.

من جهة أخرى، نجد تقرير التنمية الإنسانية العربية يوضح أن متوسط عدد الكتب المترجمة في الوطن العربي هو 4.4 لكل مليون عربي سنوياً، في حين يحظى كل مليون مواطن في المجر بنحو 519 كتاباً سنوياً، كما يبلغ نصيب كل مليون إسباني في العام 920 كتاباً.

فالكتاب المترجم لدينا. كما يؤكد شوقي جلال. لا يصل إلى أكثر من 5% من إجمالي المنشور من الكتب على المستوى العربي، ويعادل إنتاجنا من الترجمة عُشرَ إنتاج البرازيل، مع أن عدد سكان البرازيل نصف تعداد العرب الذي تجاوز 450 مليون نسمة.

تشير تلك الإحصاءات في مجملها إلى المستوى المتدني للحراك الثقافي والعلمي في الوطن العربي، وتحيلنا إلى البحث عن أسبابها التي تتمثل في نقاط ضعف

عدة، أبرزها ضعف مستوى التعليم، ما أدى إلى تخريج حاملي شهادات في اللغات والترجمة غير متمكنين فعلياً من مهنة الترجمة، وضعف سوق الكتاب الأجنبي من حيث النوعية، إلى جانب ذلك نجد شحاً في عدد دور النشر التي تهتم بالأعمال المترجمة، خاصة إذا كانت من قبل مترجم مغمور، وعلينا الاعتراف أيضاً أن هناك تحدياً تواجهه الثقافة العربية ذات السمة المحافظة والتي لا تسمح بترجمة كتب خارج معايير تقاليدها، علاوة على سبب رئيس آخر في ما يخص قلة مبادرات الدول العربية لتعزيز الترجمة وإعداد المترجمين.

بعد هذا العرض المختصر لحركة الترجمة في الوطن بداية من تاريخها إلى واقعها الحالي، ومع أخذ بعين الاعتبار كل الجهود الكبيرة المبذولة في هذا المجال، يتطلب الوضع حلولاً فورية، بداية من إصلاح المنظومة التعليمية، مروراً بإعادة النظر في مهام دور النشر وسوق الكتاب في الوطن العربي، وصولاً إلى دراسة المنظومة الثقافية والاجتماعية والعلمية المتعلقة بمفهوم ثقافة الانفتاح على الثقافات الأخرى المختلفة، فذلك يعتبر ضرورة ملحة لبناء جسور التواصل مع الآخر ليس كتابع وإنما كطرف له وزنه الثقافي والعلمي ويستطيع إثبات وجوده في عالم معرفي سريع التطور.

المصادر:

- الترجمة، تعريفها، أنواعها، صعوباتها، المبتعث للدراسات والاستشارات الأكاديمية، الموقع الإلكتروني لجامعة بيشاور.
- أهمية الترجمة، الموقع الإلكتروني لجامعة جنوب شرق سري لانكا.
- لين لونغ، تاريخ الترجمة، ترجمة حميد العوضي، منشورات ماتي لينغوال ماترز، كندا.
- حسام الدين مصطفى، مختصر تاريخ الترجمة العربية، الموقع الإلكتروني للجمعية الدولية لمترجي العربية.

الترجمة بين العربية والإسبانية..

التوافق والاختلاف

الدكتور عبد الهادي سعدون

- مجلة "فكر" العربية.

- شوقي جلال، الترجمة في العالم العربي.. الواقع والتحدي في ضوء مقارنة إحصائية واضحة للدلائل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر 1999.

- شوقي جلال، الترجمة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية.

- أمانة أبو رحمة، حركة الترجمة في الوطن العربي، مؤمنون بلا حدود، 2015.

أعتقد أن أيّ تواصل عبر المنظور الثقافي هو أفضل الخطوات نحو الالتقاء والتوافق ما بين الشعوب، وهذه بديهية نعرفها اليوم بشكل أكبر وندرك أسرارها وطبايعها. إن أي خطوة تجري عكس ذلك التيار إنما مصيرها هو الخلاف والتفرقة والتنافر، ولا أجد أي عقلية متفتحة ومنتورة تسعى لذلك.

ولعل أفضل ما ابتكره البشر هو الحرف والكلمة منذ آلاف السنين في منطقتنا الرافدينية، ومنذ ذلك الوقت أصبحت وسيلة التواصل عبر اللغات، وبالتالي الارتباط في ما بينها "أي التبادل والتلاقي الثقافي"، وبمعنى معاصر هو "الترجمة ما بين الثقافات واللغات". لذا فأنجع الوسائل وأكثرها حيوية ومنفعة للأطراف جميعها هو طريق التوافق والتواصل. من هنا نجد القرابة ما بين الأبيديات من أعراف العلاقات البشرية المتحضرة، ولم تختلف عليها الأمم حتى وهي في أحلك فترات النزاعات العالمية وحروبها ومحاكم التفيتيش الشرسة.

ولا تخرج العلاقة الثقافية عبر الترجمة والتواصل ما بين اللغتين العربية والإسبانية من هذه النظرة. إذ إن تاريخ التواصل ما بين اللغتين والموروث الثقافي المشترك بينهما، يجعلهما محط اندفاع وتمعن وتفكير بكل تلك السبل السابقة والبحث عن سبل أخرى جديدة تمعن في التواصل والمنفعة والتبادل عبر أدق منافذها الفكرية والتربوية والفنية. تاريخ العلاقة ما بين اللغتين العربية والإسبانية من خلال الترجمة طويل

وأهدافها الكبيرة ما بين العربية والإسبانية.

إشكاليات وتحديات

كانت إسبانيا والدول الناطقة بالإسبانية، ولا تزال في معظمها، واقعة تحت سلطة ما نسمى نحن أيضاً ضمنه "دول العالم الثالث"، أو بتسمية أخرى أقل وطئاً ضمن "دول جنوب أوروبا"، لذا فإن عملية دفع الاهتمام بأدائها والترويج لها وإيصالها إلى العالم الآخر ومن ضمنه دولنا العربية سيكون مقطوعاً وصلته ضعيفة، تعتمد بالدرجة الأساس على الفردانية التي نقوم بها عربياً. لقد خرج الأدب المكتوب بالإسبانية من بوتقته بعد حصول أسماء مهمة فيه على جوائز عالمية مثل نوبل للأدب وغيرها، أو نتيجة لأحداث جسام حصلت معها. ومن هنا جاء اهتمامنا بها، ولم يأت الاهتمام بها بسبب صلتها الوطيدة بعوامنا مثلاً ولا لريادتها الأدبية مثلاً، ولا لكون أول رواية معاصرة هي "دون كيشوت" قد خرجت منها، ولا لأنها المؤسسة للشعر الغنائي في الغرب، ولا لكونها الجسر الجامع ما بين الشرق والغرب مثلاً. بالطبع يقع التقصير في نقل إبداع ثقافة من الثقافات إلى اللغة العربية، بالدرجة الأساس على الجهل بأدائها وضعف الدافع للاهتمام بهذه الآداب، وهنا نتحدث عن الآداب المكتوبة بالقشتالية الإسبانية (اللغة الأساس في إسبانيا)، فما بالك بأدب أخرى مهمة تكاد تكون مجهولة تماماً لقارئها العربي، وليس أبعد من ذلك الآداب المكتوبة باللغات الرسمية الأخرى في البلدان الإسبانية مثل الكتالانية والغاليتية والباسكية (في شبه الجزيرة الإيبيرية) أو آداب الهندو الحمر المكتوبة بلغاتها المحلية مثل الكيشوا وغيرها في أميركا اللاتينية، وهي آداب متزايدة يوماً بعد آخر، ولا تقل قيمة عن غيرها من آداب العالم.

سلطة اللغتين الإنجليزية والفرنسية تكاد تكون واحدة في كل دول العالم بسبب توسعها منذ زمن طويل ولأسباب مختلفة معروفة. أما اللغة الإسبانية فعلى الرغم من أنها لغة تتحدث بها أكثر من 35 دولة وهي لغة

ومهم وحاسم في تشكيل ثقافة وآداب أوروبا خصوصاً والغرب قاطبة. وهو دور طويل الأمد وكُتِب عنه الكثير من الدراسات والكتب. ولكن لا بد من إشارة تحيلنا للموضوع ومركزته في تكوين الذائقة الأدبية والثقافية في إسبانيا أولاً وانتقاله إلى أنحاء أوروبا ودولها المتشكلة آنذاك لغوياً وجغرافياً. وكل هذا له علاقة بما نسميه وندافع عنه، التقابل والتبادل الثقافي عبر آتته الأساسية، ألا وهي الترجمة من اللغة العربية إلى الإسبانية واللاتينية، ومن ثم إلى لغات الغرب عامة. لقد نجحت التراجم الأولى في خلق ثقافة وآداب جديدة في القارة الأوروبية. عن طريقها تم تشييد أولى لبنات الأدب المعاصر أوروبياً شعراً وسرداً.

لولا النماذج الأدبية العربية المنقولة ترجمة أو شفهيًا من عربيتها إلى واحدة من لغات القارة الصاعدة، لما استطعنا اليوم أن نتكلم عن تطور شعري أو في أو سردي مهم في القصة والرواية والفكر الغربي. ولولا أوائل الترجمات عبر "مدرسة طليطلة للمترجمين" وما تلاها من تأثير جلي في النقل والتوريث في كل المجالات العلمية والفكرية والأدبية، لما استطعنا اليوم القول بكل إنجازات البشرية المعاصرة منذ القرون الوسطى حتى الوقت الراهن. هذا الإرث الكبير المتجدد والمتوسع يوماً بعد آخر، ما هو إلا نتيجة لتلك الوقدة الذهنية وذلك العمل الدؤوب ضمن حقل الترجمة والنقل والتسطير. كله اليوم معروف من خلال الدلائل والكتب والوثائق، والتي من الممكن مراجعتها في أمهات الكتب والمصادر الغربية عامة، ونماذجها الفكرية والثقافية شاخصة حتى اليوم في أي نموذج أدبي وفي متميز.

لكن مع ذلك لا بدّ من نظرة ثاقبة ورؤية مستنيرة للبحث عن نقاط الاختلاف والتلاقح لخدمة الترجمة بوصفها معيناً عظيماً يجري في نهري اللغتين المهمتين: العربية والإسبانية. من هنا ما يجيء من آراء ونقاط تذكير إنما هدفها الرئيس هو البحث عن كل مسببات النجاح والإخفاق في هذه العلاقة التاريخية، من منظور عالم الترجمة والمترجمين، ومن خلال رؤية شخصية واقعية تقفز لتكون بمثابة رأي عام يمكن أن نستند عليه ويستند عليه أغلب الباحثين في علاقات التبادل عبر الترجمة وفروعها وتصوراتها

الملايين في إسبانيا وأميركا الجنوبية إلا أنها كانت ولا تزال (بنسبة محددة) قليلة الانتشار. وللحديث عن الأدب المكتوب باللغة الإسبانية فوصله للقارئ العربي حديث العهد لا يتجاوز الثلاثين سنة الماضية، فعلياً تصور كم نحتاج من الوقت لنقل كل هذا التراث الإبداعي الممتد من القرن الثاني عشر الميلادي حتى اليوم.

من الطريف ذكره أننا تعرفنا على الأدب المكتوب بالإسبانية عن طريق آداب أميركا اللاتينية على وجه الخصوص، بل وحتى الأسماء المعروفة في الأدب الإسباني وصلت لنا عن طريق الترجمة من لغات أخرى غير الإسبانية مثل الإنجليزية والفرنسية تحديداً. بطبيعة الحال يبقى الأدب المكتوب بالإسبانية مهمشاً وضعيف الوصول للقارئ العربي إذا استمر النظر للآداب حسب القيمة السياسية والجغرافية للبلد، وبالتالي فعملية التساؤل عن كل هذا ستستمر للسنوات القادمة. أوضح هنا أنه في ظرف السنوات العشر الأخيرة ترجم إلى العربية من الأدب المكتوب بالإسبانية أضعاف ما ترجم طوال القرن العشرين بأكمله، ومع ذلك يبقى أمامنا بحر شاسع من الإبداع الذي يجب نقله للقارئ العربي.

عملية معقدة

في واقع الحال، وبحكم خبرتي مترجماً وناشراً ومشاركاً في عمليات الترجمة سواء تلك التي تتعلق بنقل الأدب العربي إلى اللغة الإسبانية (هنا إسبانياً فقط ولا أشير لبلدان أميركا اللاتينية) سواء بشكل مباشر أو عن طريق الاستشارة الأدبية، لا بد من الاعتراف بأن العملية أعقد من أن يقوم بها فرد أو دار نشر واحدة أو مؤسسة بعينها. بل لكي نتجح، ينبغي مواكبة كل هذه العناصر وأكثر. لذا أعتزف أنه ثمة حالات جمة من الإحباط تواجه المترجم والناشر للتعريف بالآداب العربية في بلد أوروبي مثل إسبانيا، وهي على العموم معضلة مشتركة لدى أغلب دول الغرب، وتكاد إسبانيا تشترك معها في أغلب النقاط والمفاصل الحيوية. والتي من بينها مجهولية الأدب العربي

لفترة طويلة نسبياً، والتي يصعب معها اليوم الإحاطة بتعريف معتدل نوعاً ما عنه أو إزاحة الغبار عن كل تلك السنين العجاف دفعة واحدة من دون مبررات مقصودة أو تمهيد مقنع، سواء لدى القارئ المثقف أو دور النشر المهتمة نفسها. ولعل التمهيد له يحتاج لجهد مضاعف وتمارين مستمر بالتعريف والتبادل الثقافي ما بين العالمين، وهذا لا يأتي لمجرد التفكير بالبدء وحسب، بل الإصرار على خطة طويلة الأمد ومتناسقة بين جميع الأطراف المعنية.

إن المترجم أو مؤسسات الترجمة تعاني حقيقة الأمر التجاهل من الطرفين؛ أي قصور دور النشر الإسبانية عن التلقي والمجازفة والعمل على النشر دون معوقات معروفة، وكذلك القصور المماثل من قبل المثقف العربي ومؤسساته في التجاوب وإيجاد حلول معينة. إن دور النشر الإسبانية مثلها مثل غيرها من دور النشر العالمية تركز أساساً على التنافس التجاري وعلى التسويق، وبالتالي تحدها عوامل وأسباب للنشر أصبحت معروفة للجميع، ليست كلها تدخل في نوعية الأدب العالي المستوى، بل الأسباب المتعلقة بالنشر ومدى الريح الممكن منها. لهذا يدخل العمل المتناسق ما بين الأطراف المشتركة لتحويل مجهولية الثقافة العربية إلى نقطة انطلاق أولية نحو تعريف أكبر من خلال المنتديات والمهرجانات والمؤسسات ذات العلاقة أولاً، وبالتالي الوصول لعلاقة سليمة ومنطقية في التعامل مع الآداب العربية كونها آداباً مهمة تستحق الانتباه والترجمة والنشر والتعريف. كذلك ولديمومة وحركية هذه العملية ما بين الطرفين (العربي . الإسباني)، لا بد من إيجاد حلقة وصل ما بين العالمين، وهي هنا نجدها ممثلة بالمثقف والمترجم العربي في الديار الإسبانية مثلاً، بحكم خبراته وقربه من القضية وبحكم انتمائه للثقافتين، وكل هذا يدخل من أجل التوجه السليم لخلق قاعدة تعاون وتعريف ومتابعة. وبالتالي تكون نظرتة المقاربة وعلاقته المزدوجة الإيجابية حتماً كمثقف عربي من جهة وكمتمرس بالثقافة الإسبانية وعلى إدراك تام بعمليتها بحكم تواجده بينهم وعلاقته الوطيدة معهم، فنقول تكون واحدة من أحجار الارتكاز لنجاح المهمة وديمومتها.

يصدر في إسبانيا سنوياً ما لا يقل عن 80 ألف عنوان جديد حسب الإحصاءات والبيانات الحكومية الرسمية، وهي في تزايد عاماً بعد آخر، وتشكل الأعمال المترجمة من لغات أخرى إلى اللغة الإسبانية رقماً لا يستهان به، ما يشير لأهمية الترجمة وثقافات وآداب العالم الآخر بالنسبة لدور النشر الإسبانية وقراءها. مع ذلك وفي ما يهمننا كعرب وكمثقفين، لا نجد ما يشجع على النظر لأدبنا مترجمة إلى الإسبانية ومنشورة في واحدة من دور نشرها المعروفة، فالنسبة لا تصل إلى جزء من أعشار 1%. وهي نسبة تكاد لا تذكر في ما لو قارنا بشكل بسيط مع دول ولغات لا تضاهاى اللغة العربية كماً ونوعاً، مثل بلجيكا وما يترجم من آدابها وعن لغتها التي لا يتحدث بها الكثير. مقارنة مثل هذه وغيرها الكثير تجعلنا ندرك الفرق الشاسع ما بين العربية ولغات أخرى يتم النقل منها إلى الإسبانية.

التمويل والدعم

من جانب آخر مهم، علينا النظر للتالي كونه نقطة ضرورية وأساسية: إذ ينبغي الإشارة إلى الحاجة المستمرة لتمويل ودعم ترجمة الأدب العربي ونشره، سواء من جهات خاصة أو حكومية كما تفعل العديد من الدول عبر هيكلية ثقافية أو عبر وزارات الثقافة أو مؤسسات تعاون وتبادل ثقافي، وهذا الذي نطرحه هنا ليس بدافع تعبوي كما تقوم به بعض الدول العربية عن طريق سفاراتها وملحقاتها الثقافية، بل بجانب توجيهي وتكميلي مهم وسد لفراغ كبير لا تستطيع العديد من دول النشر القيام به بنفسها ولوحدها. عليه هي عملية طبيعية وقانونية ولها وقع كبير ومهم في أغلب سياسيات دول أوروبا الثقافية التي لي معرفة بها، وبطبيعة الحال في إسبانيا عبر وزارة الثقافة والمؤسسات الثقافية الكبرى أهلية أو حكومية.

إن عدم تفاعل الجانب العربي عبر المؤسسات والوزارات والمنشآت في مسألة الدفاع عن الثقافة العربية عبر تمويل ومساندة رواجها في لغات ودول مختلفة، يجعل الثقافة العربية مجرد قفر تام أمام ما تقوم به دول

صغيرة أخرى بمساحتها أو عدد سكانها أو من يتقن لغتها لا يصل إلى ربع عدد سكان الدول العربية. لم تقم الدول العربية ومؤسساتها الثقافية حتى اليوم بما يوازي 5% مما تقوم به دول عديدة صغيرة في المساحة وفي النفوس البشرية وفي الموارد الاقتصادية، كما عليه كوريا الجنوبية مثلاً أو المكسيك أو الأرجنتين بالترويج لأدبها وترجمته للغة الإسبانية مثلاً. وهذا الجهد لهذه الدول وأخرى غيرها يقوم حتى اليوم بدور كبير في توصيل الوجه الثقافي المشرق لبلدها عبر التمويل والمساندة والمساعدة الاقتصادية لدور النشر الإسبانية ومؤازرتها عبر الملتقيات والمهرجانات والمنشآت الثقافية بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر.

تفتقر الدول العربية عموماً لخطة معينة أو ميزانية محددة في هذا الشأن، بل إنها تفتقر لما يمكن أن يدخل في هذا الحيز. إن على وزارات الثقافة العربية ومؤسساتها منح الأهمية لهذا الشطر من العملية الثقافية والتبادل ما بين الشعوب ثقافياً، بقدر ولو بسيط، فإذا كنا نولي أهمية كبيرة بتمويل مشاريع ترجمة من لغات أخرى إلى العربية، كما يحصل في سلاسل نشر عديدة وفي أغلب الدول العربية، إذاً لماذا لا يكون الشأن نفسه في مسألة التأكيد على توصيل الثقافة العربية عبر آدابها وعلومها وفنونها من خلال الترجمة إلى لغات أجنبية أخرى ونشرها في دولها الأصلية؟ أعتقد أن العملية تحتاج لخطوة أولى ونظرة جادة، إذ إن وصولنا يحتاج لتعريف كبير ومدرّس ومتواصل مع اللغة الأخرى، وقد عملت دور النشر الإسبانية في هذا المجال وتعمل جهدها الكبير، ولا ضير من دفعة وهبة هواء منعشة تسهم في ديمومتها.

ترتكز أغلب المؤسسات العربية على الانتقائية، إن لم نقل العشوائية، في التعامل مع المؤسسات الثقافية ودور النشر الإسبانية، وهذه الانتقائية تدخلها في بيروقراطية وتعامل هش ونفع قصير المدى، وبالتالي فقدان الفرص الثمينة بالتعاون والنشر، والتي لا تتكرر في أغلب المناسبات. من هنا، على وزارات الثقافة العربية ومؤسساتها الثقافية ككل أن تتخذ من التجارب الأوروبية بالترويج لثقافتها منطلقاً أولياً في التمويل والتعريف

والتعاون، وأن تستفيد من نماذجها لبناء نموذج شبيه أو مقارب أو خاص بمنطقتها وأدائها.

إن أغلب وزارات الثقافة الأوروبية والغربية عموماً لها ضلع كبير بتمويل شتى أعمال كتابها ومثقفها في الخارج وترجمتها للغات أجنبية، وهذه تدخل ضمن دائرة العلاقات الخارجية لمؤسسة الكتب والأرشيف في وزارة الثقافة والفنون، ويتم التقديم لها سنوياً ولمرات عدة من قبل دور النشر الأجنبية لغرض الحصول على مساعدة للترجمة والنشر. وهذه الفكرة غير قائمة في البلدان العربية، وإن وجدت ضمن حيز صغير في بعض البلدان، فهي لا تتعامل من هذا المنطلق، بل تتعداه للقيام بنشاطات أخرى جانبية أقل ما يمكن أن يقال فيها إنها لا تتقاطع ومسألة الترويج والتسويق للثقافة العربية في إسبانيا وعموم أوروبا. لو قامت كل دولة عربية ضمن مقدراتها ومؤسساتها الثقافية بإنشاء دائرة بهذا الشأن أو أي مؤسسة ثقافية رسمية أو أهلية، لتوصلنا لفك الحاجز الرئيس الأول بالتعامل مع الأدب العربي ونشره، وبالتالي خلق قاعدة صلبة للتعامل وفق التماثل والتقارب والتساوي ما بين آدابنا وآداب العالم الأخرى.

إن دور النشر والمؤسسات الإسبانية المهتمة بالثقافة العربية تعاني من صفة التحديد قصراً. تحديد آدابنا كاملة وهذا برأينا إجحاف كبير لأن المنطقة العربية تتميز بالتنوع والتعددية في الظروف والتصورات، وهي لا يمكن النظر إلى الدول الكبيرة فقط، مما يهمل بعض الدول وآدابها ويعلي من أخرى، بل إن التعريف أصبح في سنوات متأخرة وضمن دور نشر وأوساط أكاديمية يعني أدب دول بعينها دون أخرى. أي إقصاء الكل من أجل التحديد الكلي ضمن كتلة واحدة. إن أي تعامل من قبل دول عربية في مجال التبادل الثقافي والترويج لأدب الدولة المعنية سيسهم بردم هذه الهوة، وتبيان ذلك التنوع والتعددية الثقافية في بلداننا العربية.

الجهل الكبير بالتجديدات وما إليها في الفعاليات العربية المعاصرة، وهذا لا يقع في خانة القارئ العام أو الناشر خاصة، بل أيضاً المستعرب قليل العدة وكثرتهم ترعب في هذا الحيز. والسبب نقص كبير في عدة المترجم والمستعرب

المتمكن، وهذه أسبابها كثيرة؛ منها خفوت دور أقسام اللغة العربية وآدابها في الجامعات الإسبانية، تقلص عدد الطلبة الدارسين للغة العربية وكذلك المستوى المتدني للتدريس. ويمكن إحالة هذا الوضع لنقص التجاوب العربي وجامعاته ومؤسساته في هذا الشأن. إن أي تعاون وعمل مشترك يساعد بشكل أكبر بتوسيع النطاق ومنح الأهمية الحقيقية للغتنا وآدابها في إسبانيا. كما أن مساهمة بعض التحولات السياسية والاجتماعية في المنطقة بالانتباه والترويج للثقافة العربية كما عليه ما يجري في المنطقة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003. إن التحولات السياسية والاجتماعية تلعب دوراً كبيراً في الحراك الثقافي لبلد معين وتساهم بصورة غير مباشرة بنشر جزء مهم من آدابه: حالات العراق، سوريا، والربيع العربي عموماً. ساهمت بعض الأحداث السياسية مثل هجمات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول والربيع العربي في ازدياد الاهتمام بالموضوعات العربية على العموم، وبالأخص ما يتعلق بالعلوم الاجتماعية والأديان، وما إلى ذلك، ومنها اهتمام خاص بالأدب العربي المترجم، ويدل على ذلك نمو التراجم من العربية إلى الإسبانية في الكتب والمجلات والدوريات.

لا وجود لمجلة ثقافية إسبانية، خارج السياق الأكاديمي، متخصصة بالأدب والفنون العربية، وإن ظهرت تجارت متأخرة لمحاولة سد الفراغ ولكن من دون تأثير كبير حتى اليوم. بين حين وآخر وبشكل اعتباطي دون تخطيط معين، تخصص إحدى المجلات ملفاً أو عدداً خاصاً بالعالم العربي أو أحد البلدان، وفي الأغلب نتيجة حدث معين أو ظاهرة تاريخية واجتماعية ومن ثم بشكل تجمعي يعتمد على وفرة نتاج وترجمات سابقة منشورة أو غير منشورة وإحاقها بنصوص أخرى. إن وجود مجلة أو منشور دوري ينافس المجلات الأدبية والثقافية الإسبانية له أثر معتبر ومحرك فاعل لا يستهان به.

على الرغم من التركيز في النقاط السابقة على جملة سلبيات ومعوقات وصول الأدب العربية للمثقف والقارئ الإسباني، فلا بد لنا من التذكير ببعض الإيجابيات التي ظهرت في الآونة الأخرى، والتي نرى أنها ستساهم

بقدر وافر بالتعريف والاستمرارية؛ مثل ظهور أجيال قليلة عارفة ومتمكنة من اللغة العربية والثقافة العربية ولها باع طويل اليوم في الأوساط الأكاديمية وهي مؤثرة أو يمكن أن تكون مؤثرة اليوم أو في المستقبل القريب من ناحية معرفتها الكبيرة وقدرتها على التواصل ونقل أهم الأعمال الأدبية، ودورهم هذا جعل العديد من دور النشر المهمة في إسبانيا تتوجه إلى نشر كتب في الثقافة والفن والأدب العربي المعاصر، في حين كان ذلك حتى فترة قريبة من الصعب وجوده في قائمة دور النشر هذه.

كما أن الاهتمام المتأخر من دور نشر تجارية كبيرة ومتوسطة للنشر والتعريف بالظواهر الثقافية العربية قد جعلها تخرج إلى النور وفي متناول القارئ عموماً بعد أن كانت حكراً على الوسط الأكاديمي أو ضمن نطاق نشر ضيق وفي دور نشر صغيرة عموماً. يضاف لذلك أن الثورة الثقافية والفنية العربية ممثلة بالأجيال الجديدة ومؤسساتها الثقافية وكذلك الجوائز الأدبية والمشاركات هنا وهناك قد ساهمت بشكل خارق في اختصار المسافات والتعامل المباشر مع الآداب العربية كونها آداباً مهمة ورسنية وتستحق التعامل معها ضمن مستوى التكافؤ والتساوي والاكتشاف المستمر.

من هنا؛ ينبغي التأكيد على أن حراك الساحة الثقافية العربية مؤخراً عبر العديد من التظاهرات الثقافية واللقاءات والجوائز الأدبية المهمة بقيمتها المادية والمعنوية قد جعلت العديد من دور النشر تهتم بها وتسعى لمعرفة طبيعتها وهدفها. وعبر كل هذه المبادرات حصلت تنوعات واختيارات في الترجمة من العربية إلى الإسبانية. عليه فإن أي تجربة ثقافية جديدة مثل جوائز الرواية والترجمة والتأليف قد تشحن بطارية التعريف بالثقافة العربية، وتسهم في تحريك الترجمة والنشر بالإسبانية.

نعتقد ان خطة بسيطة نوعاً ما تتخذها أي دولة عربية أو مؤسسة ثقافية عربية للترويج والتفاهم وتبادل الخبرات مع مؤسسات إسبانية. ومن ثم تشجيع دور النشر الإسبانية للاهتمام بالآداب العربية وثقافتنا المعاصرة والقديمة، سيكون جديراً بدفع عجلة التعريف بثقافتنا وإقدام دور النشر

والمترجمين عموماً على الاهتمام بالكثير من الظواهر الثقافية والاجتماعية والأدبية في الوطن العربي. لا بد أن نتمعن بالمسألة من كل طرف، فعلاقة إسبانيا بعالمنا العربي الإسلامي الخاصة وقربها الكبير من عالمنا، وكذلك التوجه الأخير لدى قطاع كبير من المستعربين الإسبان وقدرتهم الكبيرة على التفاعل مع ما يجري في منطقتنا، أسهموا في بروز العديد من دور النشر الإسبانية مؤخراً واستعدادها لنشر الآداب العربية، وهذا كله من شأنه أن يكون خطوة مهمة وحجر أساس لجعل الثقافة العربية وآدابها معروفة ومقروءة ومتواجدة في حركة النشر والترجمة في إسبانيا، وبالتالي دول أميركا اللاتينية الناطقة بالإسبانية.

كل المعوقات يمكن أن تضحل في حال الانتباه المبكر للمسألة، ولا نعتقد أنها تحتاج لعدة كبيرة وجهود خارقة، كما أن المسألة يمكن أن تدخل في حيز حماية وصيانة الثقافة والتراث في كل بلد من خلال الترويج له وإيصاله على أبعاد جهة ممكنة عن طريق الترجمة والنشر. إن تعاضد أكثر من جهة ودولة ومؤسسة عربية سيزيد من تسارع النجاح وضمان تفاعلها على أكثر من مستوى وموقع.

مثلاً عرفنا أن ترجمة ثقافات العالم الآخر تساعد بخلق تربية ووعي في مجتمعاتنا بما يدور حولنا في لغات وثقافات أخرى، فالعملية تأخذ الأبعاد نفسها عندما نترجم وننشر ثقافتنا في لغات أخرى، ما يسهم في خلق وعي جديد وذائقة جديدة لدى القارئ الأوروبي عامة، والإسباني خاصة، ويتيح له معرفة مجتمعاتنا وثقافتنا ودورنا الحضاري وقضايانا أيضاً، وبالتالي التفاعل معها مباشرة بعيداً عن الصورة النمطية المعتادة والمعروفة مسبقاً. كما أن معرفة الآخر عبر ترجمته إلى لغتنا العربية يمنحنا الانطباع الحقيقي عنه وعن عوالمه، والمجتمع الإسباني له الحق بمعرفتنا معرفة أكبر، والترجمة في هذا الخصوص قادرة على بناء علاقة متكافئة وحقيقية.

شهادات شخصية في الترجمة

في ضيافة الترجمة

الدكتور مزوار الإدريسي

هل يحقُّ لي الحديث عن تجربتي في الترجمة؟ أعتقد أنَّ منجزِي الترجمة المتواضع والمؤلَّف من أكثر من 20 كتاباً تنوّزَ عنها أجناس أدبية مختلفة من دواوين وكتبٍ رحلة ومسرحياتٍ ورواياتٍ ومجموعتين قصصيتين ترجمتهما بمفردي، وثمانية كتبٍ بالاشتراك مع آخرين، وكتابين غير منشورين بعد، ونصوصٍ مبنوثة هنا وهناك في مجلاتٍ وصحفٍ عربية وإسبانية حصيلةً لا بأس بها، تسمح لي باستعراض انطباعاتي عن هذه الممارسة.

وبدءاً؛ عليّ الاعتراف بأنَّ مصادفات الحياة هي التي انتهت بي إلى مزاولة الترجمة. أنا أعلم من أين جئتُ إليها، لكنني أجدني مستسلماً لها تفودني في طريق أجهله، لأنني ببساطة لم أت إليها وفق تخطيط وترتيب مُسبقين. لقد وجدتني فجأةً في مَعَمَّتها، أخوضُ في تضاريس من جغرافيتها يُجمع المُختصّون على وعورتها: الشَّعرُ الذي إنْ تَقُلْ لأحدهم بأنك تراولُ ترجمته ببادرُك مُستغريباً بعبارة: «أَلَيْسَتْ ترجمةُ الشَّعرِ مستحيلةٌ أو صعبةٌ على الأقل؟».

وعلى غرار هذا المُستفهم، لا أخفي بأنني أرتابُ كثيراً في هذا النشاط، ومع ذلك فأنا لا أشكُّ في أنه إبداعيٌّ، بدليل أنني قرأتُ نصوصاً مترجمةً كثيرةً أحسستُ فيها بمتعة خالصة، وتتفوق الترجمة على الأصل، أو بمضارعتة

قيمة فنيّة. بل إنك تجد من المترجمين من يصاركُك بأنّ له أفضلاً على بعض المُبدعين حدّ التَّبجُّح بأن نصّه المترجم تفوّق على الأصل، وأنه لولاه لما عُرف نصّه (لنتذكّر حال الطاهر بن جلون مع "الخبز الحافي" لمحمد شكري)، ومنهم من يُصرّح شأن بورخيس بأنّ قراءته في صباه "دون كيخوت دي لامانتشا" كانت في ترجمة إنجليزية رائعة تملّكته حتى إنه ترسّخ لديه الاعتقاد بأن كتاب ثرانتيس قد أُلّف بالإنجليزية رأساً لدرجة أنه لم يلتفت إلى النص في أصله القشتالي الإسباني، وحدث الشيء نفسه في حال تخصّص إبداعه، ذلك أن لم يتردّد في أنّ فضّل الترجمات التي أنجزها نسطور إيبازّا مترجم كُتبه إلى الفرنسية على أصوله الإسبانية اللسان، بل إنّ الأميركيين تعرّفوا إلى إدغار آلن بو من خلال الترجمات التي أنجزها لأعماله الشاعر الفرنسي بودلير أساساً، والتي أعادوا ترجمتها بالواسطة إلى الإنجليزية، عوض اعتماد الأصول.

أكّرر خشيتي من الترجمة، لأنها نشاط إبداعي أرتاب فيه، فهو يشغل من وقتي حيزاً كبيراً يصرفني عن اهتماماتي الإبداعية والنقدية، وهو أمرٌ كاشفتُ به بعض الأصدقاء، فصوتي الشعري والسردى أهمُّ لديّ من صفة المترجم التي أضحت تلاحقني. ولكن ما يُخفّف عني هذا القلق هو أنّ شعراء كباراً مثل لويس ثيرنودا، وبورخيس، وياث، وأنخل بالينتي، وأنخل كريسبو، وبودلير وغيرهم كانوا من الممارسين لترجمة الشعر، دون أن أدعي مقارنة نفسي بهم، ودون أن أنسى في الوقت ذاته أن الترجمة مهّدت لي الطريق للدخول إلى عالم النشر، ذلك أن تردّد اسمي في منابر إعلامية بفضل الترجمة يسّر لي ذلك الدخول، على غرار كُتّاب كثيرين.

لكني بكل موضوعية أقرُّ أيضاً بأنّ للترجمة غوايتها، إذ كثيراً ما تستوقفني نصوصٌ أجدها ممتعة، فأبادر إلى ترجمتها رغبةً في تقاسم فائدتها مع جمهور أتصوّرهُ سيحتفي بها، وفعلاً ذلك ما يحدث في الغالب، إذ تصلني بعض الرسائل من حيث لا أحتسب مبدية تقديرها ومعترفة بالجميل، أسميها ترجمة المتعة، وضمّتها يمكن أن أدرج الترجمة الملتزمة بمشروع "ضفاف"

الذي شرعنا فيه - الصديق خالد الريسوني وأنا - منذ 2001. هذه الترجمة التي أصلها أيضاً بالجريئة، لأنها تجرؤ على وضع النص الأصل في مقابل الترجمة المقترحة من قِبَلنا، بحيث تكون اقتراحاً لا يلغي الأصل. إنها ترجمة لا يمكن إقصاء الهاجس التعليمي عنها، لأنها قد تكون مفيدة لكثيرين.

وهناك ترجمة أخرى يكون الحافز المادي كامناً خلفها، وأتحرى فيها جهدي ألا أُغَيّب عنها القيمة التي تقتضيها. إنها تُرجمَةٌ تحثّ الطلّب، وهذا النعت لا يقدح فيها على الإطلاق، لأنها عمل موسوم بالمسؤولية.

يحدث لي أحياناً أن أنجز ترجمة لنصّ سبقَتْ ترجمته من قِبَل مترجم آخر، بعلم مني أو بغير علم، ولا داعي للنظر إلى المسألة بإغراض، فالمسألة جدُّ مقبولة، لأنّ تاريخ الترجمة يُعلّمنا أنّ كلّ ترجمة ليست نهائية، بل هي جوابٌ عن حاجة جمالية أو معرفية لعصر له أسلوبه، من ثمّ يكون ضرورياً تحيين الترجمات، ما دامت الحياة في سيرورة تحوّل دائب، وأنّ الفنّ ليس بوسع إلا أن يواكب تبدّلاتها. وتكون مهمة الترجمان أن يخوض المغامرة، لأنه في تصوّرِي بحارٌ يبحث عن بحار جديدة، ولا همّه في شيء أن يطلع على نظريات الترجمة، فالنظريّة لن تصنع منه مترجماً، لكنّها قد تسعفه في حلّ بعض الإشكاليات التي تعترضه.

لترجمة مآزقها، لذلك أجدني أتحرى دوماً تمحيص أعمالها تفادياً لما لا يُحمدُ عقباه، فالمترجم متهم دوماً، ولعلّ أبشع ما يُشنع عليه الخيانة، إذ يجد نفسه في أكثر من مناسبة بين المطرقة والسندان، فهذا القارئ من جهة له مطالبه، وذلك المؤلف في الجهة الأخرى لديه حقوقه، ويكفي أن أسوق إليكم هذه الشهادة للروائي ميلان كونديرا الذي لا يُخفي أنّ أحد الانشغالات الأدبية الكبرى للمؤلف هو الدور الذي ينهض به المترجمون ضمنّ الأدب الأوروبي: «مُترجموناً يخونوننا. إنهم لا يجزؤون على نقل ما ليس مألوفاً في نصوصنا... ما ليس شائعاً، وأصلياً. فبهم يخشون أن يؤاخذهم النقد بسوء الترجمة. إنهم لكي يحموا أنفسهم، يُحوّلوننا إلى تافهين، ولا يمكن تصوّر ما صرفته

من وقت ثمين وطاقة في تصحيح ترجمات كُتبي».

ولعلّ ما يُسوّغ هذا الكلام هو وجود مترجمين يذهبون إلى غير ما يعنيه الشاعرُ أو الروائيُّ، ولديّ في هذا الصدد أمثلة أحتفظ بها لنفسي.

الترجمانُ كائنٌ يُنخَسُ قدره حين يُشكُّ في عمله، على اعتبار أنّ القيمة تكون للأصل بلا منازع، الذي يُتصوّر فيه القيمة العليا، وأنّ كلّ خلل قد يبدو فيه حين ترجمته مرّدُه إلى الترجمة الخائنة. ما أرغبُ في إثارته هنا هو لماذا يُفترض الكمال في النصّ الأصل دوماً؟ ولماذا يُفترض النقصان في الفرع، أي النصّ المُترجم بغية تعليق اللوم على الترجمان؟ ما الذي يضمنُ لي أن النصّ الأصل رفيعٌ حقاً؟ هل كلّ نصٍّ يُترجم يقتضي أن يكون بالضرورة أثراً أدبياً حقيقياً؟

ومع ذلك؛ فالمترجم كائنٌ مغبون على الدوام، لأنه لا يأخذ جزءاً مجهوده مثلما يقتضي الأمر، ثم إنه يُجازى بهميش حين يُحدف اسمه أحياناً من نصّ ترجمه، كما حدث في مجلةٍ نشرت نصّ حوار ترجمته ونشرته في "القدس العربي"، كان قد أجراه الصحافي خابيير بلانثويلا مع الكاتب محمد شكري، دون أن تنوّه باسمي باعتباري مترجماً. أو أنّ يُدرج اسمه داخل المتن وليس على الغلاف، لذلك سهرتُ على إدراج اسمي كمتّرجم في واجهة الغلاف، لأنّي أعتقد أنّ المترجم شريك المؤلف في نصه، أشاء هذا الأخير أم لم يشأ، وأتصوّر أنّ الحال تصدّق عليها أسطورة أفلاطون في "الوليمة"، التي مفادها أنّ "الحبّ هو الرغبة في عبث كلّ نصف على نصفه الآخر التائه عن ذاتنا". كلا المبدع والمترجم يتكامل، فأصلهما واحدٌ، وكلُّ ادعاءٍ من قبيل المبدع بأنّ لا حاجةً لديه إلى مترجم محض هُراء، والمترجم بدوره يحتاج إلى نصٍّ مُبدعٍ يتخذه جسراً ليقفد ويستفيد.

أكيدُ أنّ "ترجمة الشعر تقتضي مزيجاً متوازناً جدّاً يجمع بين الصرامة والخيال"، وفق الشاعر الإسباني أندريس سانثيث روباينا، في حديث لصحيفة "إل ديا" في 17 ديسمبر/ كانون الأول 2008، وهو ما أسعى إلى

الالتزام به، ومع ذلك أجدني غير راضي - في غالب الأحيان - عن منجزتي، يحدثُ هذا حين انتهائي من مشروع ما، وبعد الدفع به إلى النشر، فتبادرُ إلى ذهني مؤاخذاتٌ عديدة على مقترحي الترجمة، وتعيّن لي حلّول كان بمقدوري اللجوء إليها، أو صيغٌ كان يُفترض في استحضارها، أو انحرافاتٌ كان بوسعي تفاديها أثناء الترجمة. إنّ مثل هذه المطبّات هي التي تجعل العمل الترجميّ غير نهائيّ، ومفتوحاً على أكثر من ترجمة، لأنها تكشف له نقصانه إنّ لم يكن عوّاره.

يقودني هذا الكلام إلى الاعتراف بأنّ الترجمة تعلّم متواصلٌ، فعبّرها أقف على نقصاني، وبوساطتها أستجيب لرغبة ذاتية في إغناء تجربتي الإبداعية، فكثير من الرؤى والصور والأساليب والتقنيات أقيدها من هذا النّوع التّريّ، الذي لا أنفكُ أنهل من معينه.

لقد رسّختُ لديّ ممارسة الترجمة أن الاقتناع الذاهب إلى "أنّ العلم في الراس، وليس في الكُرّاس" مضى زمانه وأدبر، وأنّ درس الترجمة شاهدٌ على اندثارها، لأنّ الترجمة التي قد يكون كلامي أشار إلى أنها فنٌّ بالأساس هي علمٌ أيضاً، بمعنى أنها تقتضي التدبّر والتفكّر، والاستعانة بقواميس عديدة، وعدم التردّد في استشارة أهل اختصاص ما. أما أن تأخذ الكتاب بيُسراك والقلم بيمنك لتترجم مباشرة فتلك أمّ المغامرات، التي لا تُحمد عواقبها، لأنه حتى في حال اعتبارها لعباً، فعلينا الوعي بأنها لعبٌ جيّدٌ وصارمٌ له قوانينه.

ترجمتُ لمعاصرين تعرّفتُ إليهم مباشرة وعقدتُ معهم صداقة حقيقية مثل روباينا، ولويس غارثيا مونتيرو، وخوان غويتيسلو، وألمودينا غرانديس، وماريا بلانكا، وخواكين بينيتو دي لوكاس، وجوردي فيرا لونغوا، وأنخيل غارثيا لوبيث، وأنطونيو راميرث ألمانثا، وآخرين لم يحدث أنّ تعرّفتُ إليهم إلّا عبر كُتبيهم، مثل أنطونيو مونيوث مولينا، ومويس بن عرّوش، وآخرين غادروا العالم لكنّ خلفوا وراء ظهرهم أعمالاً كان من حظي أن ترجمتُ

من مطبخ المترجم

الدكتور هاتف جنابي

ما زلت أهمس بفكرة لنفسي، لأن البوح يجبرني على تبرير طرح تلك الفكرة التي سأصوغها في هيئة سؤال بريء، لكنه ليس بريئاً حتى النهاية: لماذا لا نفهم الترجمة على أنها ليست من لغة أولى إلى ثانية، وإنما من لغة أولى إلى لغة أولى؟ بمعنى، أن العمل بعد ترجمته بحرفية وأصالة، سيكون هو الأصل لدى المتلقي إلى أن يأتي مترجم آخر ينسخها بترجمة أخرى. وبغض النظر، عن ملايسات الترجمة، فإن النص يعيش حياة جديدة في لغته "الأولى" (الثانية). والمؤلف المحظوظ هو من يتولى ترجمته مترجم أو أكثر من المبدعين المهرة.

قبل كل شيء، تتطلب الترجمة توافر شروط في المترجم أصبحت معروفة، ولعل توافر الذوق والمعرفة اللغوية والأدبية والثقافية والأخلاقية والخبرة من بين أهمها. ولهذا فالمترجم - بغض النظر عن اللغة التي يترجم منها - تواجه مصاعب ومطبات ومفاجآت شتى، بيد أنها تكبر وتتضخم عندما تكون اللغة الأولى بعيدة تماماً عن اللغة المنقول إليها من حيث الأصل اللغوي والمرجعية الثقافية الحضارية. تتعدد الأمور أكثر حينما يكون حضور تلك اللغة وأدبها عبر الترجمة محدوداً للغاية؛ كما هي الحال مع اللغة البولندية أو اللغات الشبيهة بها.

وإذا كان عليّ الكشف عما في داخل مطبخي، أقول: كان يجب عليّ أن أنقل للمرة الأولى أسماء أشخاص وأماكن وأمثلة وإيحاءات واستعارات وأساطير وأجواء وإيقاعات وأساليب وعناوين من لغة غريبة على لغة الضاد هي اللغة البولندية السلافية. علاوة على ذلك، فالشعر البولندي وشرق ووسط أوروبا يتسم بحضور الطبيعة؛ وبالنتيجة بأسماء النباتات والحيوانات

بعضها مثل علي باي العباسي صاحب "رحلات عبر المغرب"، وخوسيه ماري مورغا مؤلف رحلة "المورو البشكاسي"، وغوستافو أدولفو بكي، وميغل دي أونامونو، وخوسيه ديّاث فرناندث، وخورخي لويس بورخيس. كما ترجمت من العربية إلى الإسبانية بمعينة ماريبل لاثارو دوران للروائية الجزائرية أمال بشيري "آخر الكلام"، وترجمت ديواني الأوّّل "مرثية الكتف البليل" بتعاون مع ألبرتو توريس، الذي ترجمت معه إلى الإسبانية أيضاً ديوان الشاعرة المغربية وفاء العمراني "هيأت لك".

لم أنتبه مع مرور الوقت إلى أنني تحوّلت إلى مترجم محترف، بعدما التحقت بالتعليم الجامعي، حيث تزوّدت بمعرفة نظرية وأخرى عملية، أسهمت كثيراً في فتح عيني على عالم الترجمة بوعي يتكامل فيه التطبيقي مع التأملي.

وعلى الرغم من محاولتي أن أختطّ لنفسي مشروعاً في الترجمة، تصوّرني قد بدأته مع علي باي العباسي مؤلف "رحلات عبر المغرب"، الذي جعلني أفكر في أن أقدم للقارئ المغربي خاصة بعض الأعمال المفاتيح التي تُعرّفه بالصورة التي رسمها له الرحالة الإسبان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حتى تكون رؤيتنا لذاتنا أقرب إلى الموضوعية، فإن ذلك الحلم تعرّ، ومع ذلك أجدني أعود بين الفينة والفينة إلى استئنافه بترجمة أعمال كنت قد برمجتُها، لكنّ الوتيرة خفّت جدّاً، نظراً لمفاجآت الحياة، التي تضطّرنا إلى تغيير كثير من القرارات، أو التراجع عنها، لأن الظروف تُسهّم في توجيهنا وتغيير كثير من قراراتنا، ولعل ذلك ما أكّد عليه الفيلسوف الإسباني أرتيغا إي غاسيت بقولته الشهيرة والدالة جداً في هذا السياق، وإن كانت قد قيلت في سياق آخر، لما عرّف ذاته: "أنا هو أنا وظروفي، التي إن لم أنقذها أفقد نفسي".

والأشجار، واليوم تفتقر الذاكرة العربية العامة أو قاموس المتلقي إلى غالبية تلك التسميات والأوصاف، وحينئذ لا مناص أمام المترجم سوى اللجوء إلى القواميس القديمة، الشيء يخلق غربة ثنائية: نص أجنبي وكلمات قديمة غير متداولة. هناك أحرف عربية لا مقابل لها في اللغات الهندو - أوروبية، وهناك أحرف وأصوات أخرى بالبولندية خاصة بها مثل (RZ, CZ, Z, Ż, Ś)، لا مقابل لها عربياً إلا ببعض اللهجات كالعراقية مثلاً. من هنا، كان لزاماً عليّ أن أكون المترجم و"المنقّب والمؤسس والمبتكر" في آن واحد.

ثمة مشكلة مزدوجة، تتعلق بتوظيف الأحداث والتواريخ والأساطير وأسماء الأشخاص والأماكن والحروب بلغات أجنبية في أشعار ونثر المؤلفين البولنديين. أقول: مشكلة مزدوجة، لأنني لا أستطيع تركها على حالها في لغة حروفها مختلفة تماماً، هي اللغة العربية السامية الأصل. كنت أمام خيارين: إما ترجمتها داخل النص أو وضع هوامش لها، وشخصياً مارست الخيارين. القضية الثالثة التي واجهتها في ترجمة النصوص الكلاسيكية، خاصة الشعر، تعلق في اختيار المفردات، والأسلوب والشكل المناسبين، والاجتهاد قدر المستطاع. ما هي الطريقة المثلى لترجمة قصيدة رثاء ألفها الشاعر البولندي يان كوهانوفسكي (1530 - 1584) من القرن السادس عشر؟ هل ينبغي استحضار لغة وأجواء مراثي الخنساء، وأبي ذؤيب الهذلي، وسواهما يا ترى؟ كيف ينبغي ترجمة قصائد آدم ميتسكيفيتش (1798 - 1855) شاعر بولندا الرومانسي الكبير؟ هل من خلال ترجمته بناء على التفعيلة أم شكل القصيدة ذات الشطرين أم بشكل آخر؟ وكيف ينبغي نقل مشاعر ومعاني وإحالات الشاعر إلى العربية؟ شخصياً، اخترت طريقة تستند على الإيقاع من خلال تعشيق قائمة على تفعيلات متشابهة تتلاءم وإيقاع الأصل، وأحياناً استفدت من التقفية الحرة.

مع ذلك، سيبقى سؤال يلاحقني يمسّ الشعور بالمسؤولية: هل نجحت في هذا المسعى وسواه؟ من حسن الحظ أن تجربتي الشعرية ولدت من رحم القصيدة العمودية، ثم قصيدة التفعيلة والشعر الحر وقصيدة النثر

والقصيدة المفتوحة، لقد نفعني تجربتي كثيراً.

كانت تخامرني رغبة - فكرة ترجمة قصيدتيه: الشنفرى، والمتنبى، رغم معرفتي بأنه ترجمهما من الفرنسية بحرية ترجمة فنية. لقد خلق الشاعر "قصيدته العربية" بلغة قومه يعني "قصيدته البولندية - العربية". لكن، ما نفع "استرجاع" أو "إعادة" المتنبى إلى نصه العربي؟ ستبدو العملية مضحكة نوعاً ما، إلا أنها لا تفتقد إلى المعنى. على الأقل من جانب نقل نسخة ميتسكيفيتش، للتعرف على كيفية قراءته الأجنبية وخارج لغته. كيف يبدو هذا المتنبى. لأنه من غير المعقول أن تكون اللغة سجنًا للمبدع.

واجهت مشكلة أيضاً قبل توافر الحاسوب في الحفاظ على سلامة عملي. في سنة 1996 أرسلت إلى دار المدى - حينما كانت في دمشق - مخطوطة "أشعار مختارة" للشاعرة فيسوافا شيمبورسكا (1923 - 2012) بمناسبة فوزها بجائزة نوبل للأدب، كانت نسخة أولية مرقومة على الآلة الطباعة أملاً في عودتها للمراجعة. في تلك الفترة أعددت مختارات شعرية للشاعر تشيسواف ميووش (1911 - 2004) ولم أتابع مصير شيمبورسكا. كنت في انتظار مراجعتها وتنقيحها، وعندما أصبح ميووش جاهزاً أرسلته إلى الدار ذاتها، لكنني فوجئت بصدور كتاب شيمبورسكا "الشاعر والعالم" حافلاً بالأخطاء، فتم إجهاض فرحتي.

تعلمت من تلك التجربة أشياء كثيرة؛ من بينها ضرورة وضع شرط المراجعة والإصرار عليه من جهة، والتأني كثيراً في إرسال المخطوطة إلى النشر من جهة ثانية. أنا من محبي التدقيق الشديد. حينئذ، اشتد حنقي؛ خاصة أنني أول من ترجم الشاعرة إلى العربية في مطلع ثمانينات القرن الماضي، فطلبت من صاحب الدار التدخل فوراً وإعادة نشر طبعة جديدة منقحة، سعيت لكي تكون مزيدة وتحت عنوان آخر، فصدرت المختارات كما أردت بعنوان "النهاية والبداية وقصائد أخرى" وكتبت في مقدمتها أنها تنسخ ما قبلها. لكن، كم عدد القراء الذين انتبهوا إلى ذلك؟

تجربة الترجمة

الدكتورة نويمي فيزّو

نعلم - نحن المترجمين - أن مهنتنا، على نقيض غيرها من المهن، تتطلب منا أن نبقى "في الظل"، بمعنى أن نكون مختبئين دائماً قدر المستطاع. هذا هو المطلوب، ومن يبدأ في الترجمة يكتشف ذلك سريعاً. نعم، مختبئون "قدر المستطاع"، لأن الندوات المتعلقة بالترجمة، ومنها ندوة "قراية الأبيديات" في معرض الشارقة الدولي للكتاب 2022، تطالبنا بالعكس تماماً، أي بالخروج إلى الضوء والحديث عن شغلنا. ألفت النظر إلى هذا الأمر، لأشير فحسب إلى مسألة قد تكون منسّية إلى حد ما، وهي بيئة المترجم الطبيعية، والتي تتصف عادة بالعزلة والوحدة. من حسن الحظ أن هذه الدعوة إلى المشاركة في فعاليات معرض الكتاب تمنحنا فرصة للهروب أياماً عدة من عالم عزلتنا لنقف وجهاً لوجه مع واقع مختلف. إنّ هذه الفرصة تكسر قوانين الترجمة جذرياً، وكما يُقال في مجال المسرح: "كسر الجدار الرابع".

تجعلني هذه الفكرة المتعلقة بالعزلة أتعَمّق قليلاً في الحديث عن الترجمة كتجربة وتمارين ومهنة، إلى أن أصل إلى بعض النقاط التي أودّ طرحها حسب تجربتي الخاصة كترجمة أدبية من اللغة العربية إلى الإسبانية.

(أ): العمل في العزلة أو العمل المختبئ: لا بدّ أن يكون دور المترجم بعيداً عن الأنظار، بمعنى أنّ القارئ لا يسمع صوته ولا يدرك وجوده. هذا هو الهدف الأول والأساسي الذي نحاول الوصول إليه. يجب علينا أن نؤمن بأن هذا شرط ضروري لكي نقدّم للقارئ نصّاً يشعر أنه مكتوب بلغته الأم وليس بلغة ثانية. في هذا الصدد يمكننا القول: إنّ المترجم لا يختبئ فحسب بل يتبّنى صوتاً ليس صوته، أيّ إن صوته يتغيّر باستمرار بناءً على كل مشروع ترجمة

كنت وما زلت أحمّد ترجمة الشعر أو المسرحيات على حساب النثر، حتى انكسرت العادة في التسعينات بترجمة النثر من قصص وروايات. كنت خائفاً للغاية من أن تسلب الترجمة وقتي وتؤثر على كتابتي الشعرية والنثرية، لكنني كنت مغالياً في ذلك، خصوصاً بعدما صرت أكثر تنظيماً للوقت، ولإحساسي المتنامي بضرورة أن يكون لي مشروع شامل متعدد الأذرع، وساعدتني في ذلك عادة التآني في العمل.

أسوأ شيء أتذكره بندم هو شعوري بضياح وقت كثير مني في سنوات الثمانينات، بسبب ما تعرضت له من معاناة العيش، حتى اضطرت للخوض في ترجمات غير أدبية وفكرية. إذا كان عليّ أن أقول شيئاً منتزِعاً من مطبخ الترجمة الشخصي، لقلت: إنني تعلمت في السنوات الأخيرة أكثر من ذي قبل، من نفسي وأخطائي وكذلك من أخطاء وتجارب الآخرين وسيرهم.

ما زلت أعيش "فتوة الترجمة" إن لم أقل الكتابة بشكل عام. اليوم وبعد مرور 40 سنة على تجريبي يمكنني الاجتهاد قولاً جريئاً: لا توجد وصفة جاهزة للترجمة خارج الأسس المعروفة العامة لها، وقد تبدو أنها مثل الأكل له مذاقات مختلفة حسب الطاهي. هناك مشاكل مضافة تواجهها الترجمة اليوم. فمثلما يتعرض النشر الورقي إلى منافسة الكتاب الإلكتروني، تواجه الترجمة ابتساراً لغوياً وافتقاراً للدقة وتسطيحاً من جانب الترجمة الإلكترونية التي يستغلها البعض من عديبي الخبرة والمستعجلين. قد يأتي يوم تصبح فيه قراءة الأعمال الأدبية وسواها بلغاتها عن طريق الترجمة الفورية الصوتية أو الخطية. مقابل كل ذلك، لن تعوض الآلة حتى النهاية، في هذه القرن على أقل تقدير، عن رائحة الورق، ونكهة ودقة الترجمة الفعلية حتى لو تحسّن أداء الترجمات الإلكترونية. سيدخل الروبوت في الترجمة أيضاً بالصوت والصورة، وهذا الخيال سيتحقق، لكنه لن يكون بديلاً للكائن البشري.

جديد. لعلّ هذا ما يدفعني لأن أقارن دور المترجم بدور الممثل السينمائي، ففي رأيي هناك عناصر عدة بينهما متشابهة ومشاركة. إن الاختباء يعني أن القارئ في أغلب الأحيان لا ينتبه ولا يفكر في من كتب ما يقرأه بلغته، وهذا جيد برأيي، بصرف النظر عن هذه المفارقة. أقول هذه المفارقة ولكنها المفارقة الجوهرية لهذه المهنة. لماذا؟ لأننا حتماً كلنا سمعنا أكثر من مرة أن المترجم هو "الكاتب الثاني" أو "المبدع الثاني"، ولكن في الوقت نفسه طُوِّبَ بالأظهر، وهو عكس ما حدث مع الكاتب الأول، المؤلف الأصلي. مفارقة المهنة هي اعتبار شيء ونفيه في الوقت نفسه.

تعود الغرابة في الموضوع كذلك إلى أمر متعلق بالشغل نفسه، وهو أن عدم الاكتراث بشغلك هو المطلوب. صراحة أنا لا أعلم إن كانت هناك مهنة أخرى يكون العامل فيها سعيداً إن لم ينتبه إلى عمله أحد. لقد تعودنا استقبال المهني عند إكمال عمل ما بنجاح. نهى المعلم بسبب تعليمه الجيد لأولادنا، نهى المهندس المعماري بعد إكمال تصميم بيتنا، أو نهى العامل في شركة ما عندما يصل إلى اتفاق مناسب للشركة، وغيرها الكثير من الأمثلة في حياتنا اليومية نبارك فيها جودة عمل الآخرين. على النقيض من كل هؤلاء يجلس المترجم على الضفة الأخرى، إن صح لنا استخدام هذه الصورة المجازية، أقول إنه جالس على الضفة الأخرى، وإنه لو قام بعمله جيداً ولقي قبولاً فسيبقى في عالمه المختبئ والسري ولن يهتبه أحد. بعيداً عن المبالغة، ينبغي أن تكون حالة المترجم كما وصفنا: عدم تذُّر اسمه، أو الأفضل أن نقول عدم الانتباه إلى وجوده. إن هذا خبر سارٌّ، ويحقق غاية الترجمة إلى حد كبير، فعالم الأدب العالمي مليء بتلك الأشباح.

(ب): الجسر بين الثقافات أم المسؤولية المشتركة؟ إن صورة الجسر في الحقيقة صورة مجازية مفيدة جداً للحديث عن مسؤولية الترجمة في المقام الأول، وعن مسؤولية المترجم في المقام الثاني. أعتقد أن وصف المترجم بأنه جسر بين الثقافات يُحمله مسؤولية كبيرة أظن أنه بحاجة إلى إعادة النظر فيها على أرض الواقع. للتوضيح، أريد أن أُعرِّج على ذكر بعض التفاصيل

للصيقة بمجال الترجمة الأدبية. بدايةً ينبغي الاعتراف بأن المترجم الأدبي غالباً لا يختار، أو لا يستطيع أن يختار مشاريعه. لا أنفي أن لبعض المترجمين خيار القبول أو الاعتذار عند اقتراح ترجمة ما، ولكنني أظن أن عدد هؤلاء محدود جداً، فالأغلبية الساحقة منهم ليست لديها إمكانية القرار. هذا لا يعني أنهم يترجمون نصوصاً لا تعجبهم، وأنهم مجبرون على ذلك، بل إن المقصود فحسب هو أنهم غير مسؤولين عمّا يُترجم إلى لغتهم.

تفتح هذه القضية أمراً آخر، لكنه مهم أيضاً، وهو لماذا نترجم ما نترجمه؟ لماذا تقرر دار نشر أو مؤسسة ثقافية ما استثمار مالها وجهودها في ترجمة كتاب معين دون غيره؟ هل نقرأ فقط ما يتيح لنا السوق؟ في هذا السياق، هل ما زلنا نعتقد أن المترجم يتحمل أي مسؤولية عن الاستثمار في الثقافة وانتشارها؟ أرى أنّ هذه الأسئلة قد تعقد الحوار، فهي تحتاج إلى ممثلين قادمين من المجال الثقافي العام والخاص لو أردنا أن نرسم صورة أكبر وواقعية لما يحدث وراء الكواليس. من جانب آخر، ولكي نغادر الجسر تماماً ونصل أخيراً إلى الطرف الآخر، أقترح بديلاً عن الجسر لوصف المترجم بأنه "المركبي" الذي ينقل بضائعه من ضفة إلى أخرى. لقد خطر ببالي هذا البديل لأسباب متعددة. أولاً: لأنه إنسان مثل المترجم، وليس جماداً مثل الجسر. ثانياً: لأن المركبي يقوم بما يقوم به المترجم، وهو النقل من مكان إلى آخر. ثالثاً: لأن المركبي يتحرك تحت الجسر وليس فوقه، أي أن الناس قد لا يرونه إن لم يبحثوا عنه. كما أنه يعمل في بيئة غير ثابتة كالماء، البحر أو النهر، بسلوكه المفاجئ وأسماكه الكبيرة والخطيرة وأمواجه وعواصفه، وليس في بيئة مستقرّة أو صلبة كالإسمنت والحجر. وأخيراً وليس آخراً، لأن طبيعة المركبي تتطلب التكيّف مع الظروف والتحديات الجديدة؛ مثلما يتكيّف المترجم مع النصوص التي يترجمها.

(ج): أحد التعريفات الأجمل بالنسبة إليّ، والتي تصف تمرين الترجمة بشكل دقيق هو اتخاذ القرارات. يواجه المترجم قراراً تلو الآخر وهو مضطّر إلى اتّخاذها، وفي هذه القرارات، أقصد بالطبع قرارات لغوية، يتجلى جوهر

الترجمة كتمرين عقلي حرّ. قد تبدو هذه الحرية محدودة جداً، لأن في يد المترجم نصاً مكتوباً له مؤلف، ويجب عليه أن يلتصق به كأنه ظله، أي إنه لا يستطيع تغيير المعلومات والتفاصيل التي اختارها مؤلف عند كتابته رواية. مثلاً، ولكن هذا الاعتبار لحرية المترجم المحدودة على أرض الواقع يصبح أكبر حين نفكر في الكلمات. اختيار كلمة بدلاً من أخرى مرادفة للأولى، وتأخير أو تقديم جملة كانت في النص الأصلي بترتيب آخر، أو حتى تحويل ترتيب فقرة بغرض تقريبها إلينا، أقصد إلى قراء هذا النص الجدد، بلغة ثانية، هذه كلها أمثلة يتعامل معها المترجم قبل أن يتخذ القرار النهائي. في خضمّ هذه التفاصيل التي قد تبدو صغيرة، تتجلى حرية المترجم، إذ يمارسها أحياناً بصيغة معينة، بلا وعي، وقد لا يعرف لماذا اختار هذا بدلاً من ذلك، ولكن في لحظات أخرى يأتي القرار بيد الشك، وبالأحرى بسبب الشكوك. الطريف في الأمر هو أن هذه التجربة تقتصر على المترجم دون غيره.

نتيجة لذلك أرى تجربة الترجمة تمريناً فيه كثير من الصمت وقليل من الكلام، ففي عزلة المترجم، حين يجلس أمام الحاسوب، ويحاول أن يكتب الشيء نفسه "تقريباً" بلغة أخرى، تنطفئ الأضواء ويخيم الصمت مفسحاً المجال لمحاورة النص أولاً والذات ثانياً. إن هذا الحوار الذي ينشأ عن الترجمة غير مكتوب ولا مسموع في أي مكان على الرغم من أنه يستخدم الكلمات. في هذا الشأن أودّ أنّ أسترجع أمراً متكرراً حين نتحدث عن الترجمة، وهو الفكرة المنتشرة التي تقول إننا لا نترجم الكلمات، بل الأحاسيس والأفكار. أعتقد أن علينا أن نتوخى بعض الحذر في هذا التعريف، لأنه صحيح إلى حد ما فقط. أتفق مع الجزء الأخير منه، ولكن يجدر بالذكر أيضاً أنّ المترجم يعمل بالكلمات التي هي جوهر الترجمة، ومن دونها لا وجود للترجمة. ليست هناك آلة ولا وسيلة للمترجم غير الكلمة. إننا كبشر نترجم دائماً ما نريد خوض الحديث فيه مع شخص آخر أو حتى حين نحدّث أنفسنا. هذا الحوار الداخلي بالذات يشبه كثيراً الحوار الذي يُنجزه المترجم مع نفسه. لا أرغب في الماضي أبعد في هذه المسألة، بل دعوني أفكر بصوت مرتفع بجوهر الترجمة.

(د): تجربة الترجمة أو رسم الصورة، تُعدّ القدرة على الخيال من أجمل الأشياء التي تقدّمها الترجمة، لذلك قد نقول إنها انشغال بالآخر، وإن هذا الآخر هو القصة الخيالية إذا دخلنا مجال الأدب. يمكننا أن نستنتج من هذه القدرة على الخيال أن على المترجم أن يشعر بالقصة الخيالية، وأن يرسم في باله كل مشهد يقرأه حتى يصبح شيئاً ملموساً في ذهنه. أنا مثلاً أقرأ حواراً بين شخصيتين في رواية، ولأنجز قراءة عميقة عليّ أن أراهما في قلب الحوار حتى إن لم أحصل على معلومات كثيرة عنهما. ينبغي أن أسمع نبرات صوتيهما عندما يتحدثان، وإذا لم تكن لديّ معلومة مباشرة من المؤلف تُوضّح تفاصيل هذين الصوتين فسوف أتخيلها. قد تحدث تلك العملية خارج إرادة المترجم. بمعنى آخر، لكي يصل المترجم إلى مستوى المصادقية الذي يحتاج إليه، فإن عليه قبل الترجمة أن يتعاشش مع هذه الشخصيات حتى تصبح، بشكل أو بآخر، أشخاصاً من لحم ودم. أعود إلى بداية كلامي لأضيف أن تجربة الترجمة تهبّ المترجم القدرة على الرؤية قبل القدرة على الكلام أو القدرة على الحديث عنها، لذلك أعتقد أن في الترجمة كثيراً من الصمت وقليلاً من الكلام، فالصمت مرحلة ضرورية من مراحل التجربة، وهو، أي هذا الصمت أو هذا السكون، يظهر أولاً قبل ظهور أي شيء آخر.

من هنا نستنتج أيضاً أنّ في الترجمة قليلاً من الارتجال، فقبل أن تترجم ما تقرأه تكون قد تصوّرت في ذهنك ورأيت بكل تفاصيله. طبعاً للأسف الشديد أحياناً لا يحدث هذا بالسرعة المنتظرة أو بهذا الترتيب، أي الخيال ومن ثم الكلام. ويحدث أحياناً أنّ المترجم لا يرى شيئاً من النظرة الأولى وهو يترجم، ولكن لاحقاً وبعد انشغاله بالنص الذي قد تكون رواية أو قصة قصيرة أو قصيدة أو مسرحية مكتوبة، يرجع إلى ما كتبه سابقاً ويعيد العمل عليه. لذلك فإن للترجمة مسودة أولى وثانية وأحياناً ثالثة، وفي كل هذه المحاولات يعيد المترجم رسم الصورة في ذهنه.

من ناحية أخرى، وهي مرتبطة بتجربة الترجمة عموماً وبالرسم والخيال خصوصاً، أودّ أن أشير إلى نقطة أساسية تأتي بها التجربة، وهي الحوار الذي

يُولد بين النص والمترجم. هذا الحوار بالنسبة إليّ مسألةً جوهرية لا نفكر فيها كثيراً. إن الحوار ليس بين المترجم والمؤلف، بل بين المترجم والنص. هذا الخلاف خطيئاً جداً لكي ندرك على نحو أوسع دور المترجم وما يعزز علاقته به أولاً وأخيراً. لعل قول ذلك مستغرب، وبعضهم قد يخالفني الرأي. سأشرح قليلاً المقصود، وسنضع على الطاولة مثلاً أتمنى أن يوضح الفكرة. أولاً، ينبغي أن أؤكد أنني لا أنوي أن أنتقص من أهمية المؤلف الأصلي، فتجربة الترجمة في رأيي تقوم بالعكس تماماً. للتوضيح: هديني هو أن نتعامل مع النص كنص، أي كمنتج جاهز ومنته، شخصيته وقيمه تكمن خارج صاحبه أو والده. باختصار شديد؛ فإن الحوار في نهاية المطاف يلزم المترجم بالمكتوب في النص. وهنا "المكتوب" لا يدل على معناه الحرفي، بل على معناه الأوسع. المكتوب يعني الكلمات المكتوبة ومعانها الخلفية والغامضة، يعني أيضاً أسرارها المختبئة وخدمتها في إطار الحكمة وكيف يُؤوّل المترجم كل هذا. في رأيي، إن دور المؤلف لا قيمة له على الإطلاق في هذا التمرين تحديداً، فأنا كمتترجم أركز على ما يوجد أمامي فقط ولا أدخل ولا أتحمك ولا أناقش المؤلف. إنه يقبع في مكان آخر. صحيح أنّ الراوي يهمني كمتترجم ولكنه ليس المؤلف. أعلم أن الرقابة أحياناً تخلط بين الاثنين، فالخطأ شائع وقديم، ولكن المسافة بينهما قد تكون شاسعة جداً.

الخطوة التالية التي تذكرنا بتجربة الترجمة الأدبية هي أن احترام النص الأصلي، لا بد من أن يكون موجوداً من البداية وحتى النهاية. يُترجم تمرين الاحترام هذا بقدرة الإنصات العميق وبالصرع أيضاً ضد كل ما يكون خارج هذا الهدف، وذلك لكي نبتعد عن الضوضاء. إن الضوضاء تعكّر صفو الترجمة وتوازن النص وسلامته. من المؤسف أن للمؤلف في بعض الأحيان تدخّلات مختلفة في شغل المترجم لا علاقة لها بالأولويات. إذا وقع المترجم في مثل هذه الحالات فلا بد أن يتجاهلها أو يضعها جانباً حتى يعمل بهدوء وسلام. هذه التدخّلات المزعجة التي قد تؤثر سلباً على تجربة الترجمة تشمل على سبيل المثال لا الحصر شهرة المؤلف نفسها. لا ريب أننا كلنا كمتترجمين

نريد أن ننقل إلى لغتنا تلك الأسماء الكبيرة والمعروفة في كل أنحاء العالم، وأيضاً نريد الحصول على مشاريع ضخمة تأتي بها دور نشر كبيرة ومحترمة ومرموقة. في ظروف كهذه يجب على المترجم أن يبذل جهوده ليبتعد تماماً عن كل ما يُشوّش عمله على النص ويحول بينه وبين محاورته وفهمه. ولكن شهرة المؤلف لا يمكنها أن تؤثر في عمل المترجم بالأساس، بل شهرة النص بالذات. أضيف إلى ذلك وطأة موعد إنهاء الترجمة، فكثيراً ما يكون هناك شوط زمني معين وثابت لإكمال مشروع ترجمة وتفصيل أخرى نظرياً لا علاقة لها بتمرين الترجمة ومعناها، ولكنها موجودة.

في ختام شهادتي، عليّ أن أغلق الدائرة التي رسمتُ خطوطها سطحياً في البداية، أي قضية الجسر وأهمية الترجمة ومسؤولية المترجم في هذا الإطار الثقافي. لقد سعيت إلى تسليط الضوء على بعض الأحاسيس التي انطوت عليها تجربتي. إنني أدرك أن ما يتكرر في هذه المهنة أكثر تعقيداً مما يبدو.

حكايتي مع الترجمة.. هواية اختارتني

الدكتور طلعت شاهين

بدأت ميولي الفنية صغيراً بالأعمال التشكيلية: نحت ورسم، بل وسجاد أيضاً، كل هذا كان تحت تأثير وجود هذه المواد في مدرستي الابتدائية بقريتي أبنود في صعيد مصر، ثم انتقلت تلك الهوايات معي إلى المدرسة الإعدادية بمدينة قنا، ونظراً لارتفاع تكاليف أدوات الفنون التشكيلية استبدلتها بالورقة والقلم، ومن هنا انطلقت إلى الكتابة: الشعر والسرد.

واصلت توجيبي مع الشعر أكثر؛ نظراً لسهولة المشاركة في الندوات الأدبية، وأيضاً بروز اسمي كشاعر في منتديات القاهرة خلال فترة أدائي الخدمة العسكرية، كان تجنيدي بجهة القتال مباشرة، الجيش الثالث الميداني، معسكر "حبيب الله" بجنيفة الواقعة على الحدود بين محافظتي السويس والإسماعيلية، هذا سهل لي النشر والانخراط في العمل الإعلامي بمجلات وصحف عدة بعد عودتي من جهة القتال بعد حرب أكتوبر وما صاحبها من تسريح المجندين الذين أنهموا خدمتهم الإجبارية منذ سنوات.

تواصل عملي في مجال الإعلام، بشكل خاص الصحافة الأدبية والثقافية، ولم يخطر على بالي أبداً أن أكون في يوم من الأيام مترجماً، أنا الذي كان يستذكر دروس اللغة الإنجليزية على مضض، ويذاكر اللغة الفرنسية بنطقها بالحروف الإنجليزية، فقد فشلت لسنوات في حفظ الأرقام باللغة الفرنسية من واحد إلى 10، رغم إن أول علاقة حب حقيقية في حياتي كانت مع زميلة معيدة بقسم اللغة الفرنسية.

خلال عملي في المجال الثقافي كتبت مجموعة من المقالات عن شعراء العامية في مصر: صلاح جاهين وعبد الرحمن الأبنودي وفؤاد قاعود وسيد حجاب. فجأة وجدت نفسي في مواجهة اللغة الإسبانية دون أن أدري: اتصل بي أحد دارسي تلك اللغة وطلب أن يقدمني لمدير المعهد الثقافي الإسباني بالقاهرة بطلب منه لأمر مهم، كان السبب أنه مهتم بشعراء العامية المصرية، ويريد مساهمتي معه في إصدار مختارات من أعمالهم لنشرها باللغة الإسبانية. أنا اختار الأعمال وأصنفها وأساعده على الترجمة بشرح ما يغمض عليه من معانٍ.

خلال لقاءتنا عرض أن أدرس تلك اللغة بمنحة مجانية من المركز الثقافي الإسباني، لكنني سرعان ما سئمت الدروس المتباعدة، ثلاثة أيام في الأسبوع، وتوقفت عن الدراسة. عرض بعدها مدير المركز أن أسافر في منحة لقضاء شهر لدراسة صيفية في مدريد، وقد كان: ذهبت إلى إسبانيا وما تعلمته في الشارع وبين الناس في أسابيع قليلة يفوق دراستي لسنة كاملة في فصول المركز، فقررت البقاء وتركت عملي في القاهرة وأقمت في إسبانيا، وانتظمت في دراسة اللغة الإسبانية وأدبها وأداب أميركا اللاتينية. مر على إقامتي هناك أكثر من 40 عاماً حتى الآن.

مارست العديد من الأعمال، كلها في المجال الثقافي أو له علاقة بالكتابة، أبرزها عملي مراسلاً صحافياً لعدد من أبرز المجلات والصحف العربية المهاجرة في أوروبا، لتوسيع مجال عملي بدأت في ترجمة بعض الأعمال الشعرية والقصصية التي كانت تعجيني أو تلفت نظري لأنها كانت الأسهل في النشر.

حدث أنني ترجمت قصة قصيرة لكاتب من الأوروغواي، أثناء الترجمة وردت مفردة غريبة لم أسمعها أو أقرأها من قبل، حاولت ترجمتها إلى كلمة عربية من خلال السياق القصصي، لم أستسغ معنى الكلمة العربية، بحثت في القواميس المتاحة فلم أجدها، سألت بعض الأصدقاء والزلاء في الجامعة:

كنت وقتها أدرس تمهيدي الدكتوراه في جامعة مدريد، لم أصل إلى معناها، حتى فاجأتني فتاة أرجنتينية من أصول هندية بأن تلك الكلمة ليست إسبانية بل مفردة من لغة إحدى القبائل الهندية القديمة "الجواراني". عرفت وقتها أن إجادة اللغة الإسبانية ليست كل شيء، بل هناك أشياء كثيرة تنقصني قبل أن أخوض في مجال الترجمة، خاصة ترجمة أدب أميركا اللاتينية.

بدأت في التعمق في نظريات الترجمة، وبدأت أندس بين طلاب الكليات المختلفة في الفصول الدراسية بالجامعة التي تُدرس عادات وتقاليد تلك البلاد، كان أساتذة تلك المواد يندهشون من رؤية طالب دكتوراه في القانون بين طلابهم، لكنهم كانوا يرحبون عندما أخبرهم أن أطروحتي عن "الماء والنار في الاحتفالات الشعبية في مصر وإسبانيا". امتد اهتمامي أيضاً إلى حفلات السمر التي يقيمها بعض طلاب أميركا اللاتينية يغنون أغاني شعوبهم القديمة ويرقصون رقصاتهم الطقسية.

بدأت أهتم بحضور الدورات غير الرسمية التي تزخر بها الجامعات الإسبانية لدراسة مختلف مناحي الحياة في العصور الوسطى، درست الأثاث الشعبي، ودرست الموسيقى والغناء في بعض مناطق إسبانيا، اندلوثيا وأراغون وغاليثيا، ودرست فنون السحر والطقوس في القرون الوسطى في بلاد الباسك، بل إنني حضرت دورة لأسبوعين عن "الخبز والطعام وعلاقته بحروب التوابل ومحاولة السيطرة على الطريق إلى الهند الشرقية"، واكب هذا اهتمام بجمع الكتب التي تتناول كل شيء عن الحياة الاجتماعية قديماً وحديثاً في إسبانيا وبعض القبائل الهندية في أميركا اللاتينية.

خلال رحلتي هذه مع الكتب اكتشفت أن أستاذي والمشرف على أطروحتي بالجامعة الدكتور أميليو دي لا كروث أغيلار يحمل لقب "ألتونو مايور" بالجامعة، أي رئيس الجماعات الموسيقية الفلكلورية الطلابية التي ترتدي أزياء تعود إلى القرون الوسطى، وتدور للغناء في الشوارع والمقاهي والساحات خلال العام الدراسي لجمع المصروفات الدراسية. وله ثلاثة

شذرات وتأملات في الترجمة

الدكتور وليد السويكري

لماذا أترجم؟ جئتُ إلى الترجمة من القراءة، فمثلما نقرأ الكتب لأنَّ حياة واحدة لا تكفيها، فنسعى لأن نحيا في آخرين، لساعات أو أيام نقضها مبحرين في عوالم رواية أو سيرة أو كتاب تاريخ، فإنني أترجم لأنَّ كينونة واحدة مغلقة لا تكفي، ولأنَّ ذاتاً لا يحضر فيها الآخر تظل ناقصة، وفقيرة ومحرومة.

*

أترجم لأخرج مَيَّ، لألقاني في مرآة الآخر، لأوسع حدود ذاتي ولغتي، وكي أكتشفها مجدداً في غرابتهما التي يحجها طول الألفة، وأكتشف الآخر في شبهه بي وقربه مَيَّ. أترجم لأتنفس هواء جديداً، مختلفاً، يجيء من بعيد محملاً بعبق حدائق الآخرين؛ لأحيا خارجي قليلاً، ولأفصح عن نفسي في نصوص كتبها غيري، بلغة أخرى، لكتها تقولني على نحو ما.

*

وأترجم أيضاً لأنني أصاب بعدوى الجمال والمعرفة حين أقرأ نصوصاً تفتني وتثري، والترجمة وسيلتي لنقل هذه العدوى الرائعة للآخرين.

*

حين ترجمت أول نصّ عن الفرنسية قبل ما يقرب من ربع قرن، وكان قصيدة لبول إيلوار، الشّاعر الذي كان قد فتني يافعاً عبر الترجمات، قبل

كتب حول أصل وتاريخ تلك الفرق الطلابية وأغانيمهم وملابسهم.

أثناء هذا بدأت في وضع خطة لترجمة بعض الأعمال التي أرى أنها جديرة بالترجمة لأسباب عدة: أن تقدم رافداً جديداً إلى الأدب العربي، أو تقدم موضوعات جديدة غير مطروحة في كتابتنا العربية رغم وجودها في حياتنا اليومية لكن الكتاب يتجنبونها باعتبارها أشياء لا قيمة لها كالأساطير والخرافات التي تثري حياتنا اليومية ويتجنبها الأدباء باعتبارها لا تقدم جديداً أو لا تدخل في إطار الحداثة.

من كل هذا تعلمت أن المترجم المنتقن لعمله لا يجب أن يكون ملماً باللغة التي ينقل عنها بل أن يكون متمعماً بثقافة تلك اللغة بشكل واسع، وأن العمل بعد اختياره ووضعه على قائمة الترجمة يجب الإلمام بكل ما يتعلق بهذا العمل والمؤلف وحياته وبيئته والاطلاع على كتابات نقاد أو زملاء أو معاصرين للكاتب تلقي الضوء عليه. لذلك؛ من يعتقد أن المترجم يمكنه أن ينقل أي عمل للغة دون الاطلاع على كل هذا واهم، ومن يفعل غير ما ذكرت من المترجمين يمكن أن نطلق عليه صفة "الترجمان" بمعناها العامي المصري، أي إنه مجرد شخص يرسم باللغة العربية كلمات مكتوبة بلغة أجنبية دون أن يتعمق أو يفهم معناها، أي مجرد آلة تشبه "برنامج غوغل" للترجمة الآلية.

وأخيراً تسهياً للتواصل بين الأعمال التي أترجمها والقارئ العربي قررت أن أقدم كل ترجمة بمقدمة وافية تقدم له مفاتيح مهمة لفهمها والتعامل معها، فلا يوجد كتاب واحد ترجمته دون أن أقدمه للقارئ بمعلومات مهمة مفيدة في مقدمة وافية.

أن أتعلّم الفرنسيّة، فعلت ذلك كي يكون بوسعي أن أتبادل الحديث عنها مع صديقي الشاعر أحاديّ اللغة، فأتقاسم معه جمالها وسحرها اللذين لم أحتملهما وحدي. هكذا منذ البداية، كانت الترجمة هدية، ومحبة ومشاركة. قبل أن تصبح طريقاً للبحث والاكتشاف والتعلّم. قبل ترجمة تلك القصيدة لم أكن أجرؤ على ممارسة الترجمة إلا بوصفها تدريبات لغويّة على طريق تملّك اللغة الفرنسيّة، ولم أنتقل إلى الخطوة التالية إلا بعد إحساسي بأن اللّغة نفذت إلى أحلامي وأعماق لا شعوري، وباتت بذلك جزءاً من كياني، وبأنّ رحلي الشاقّة والطويلة في ترويضها قد بدأت تثمر.

*

توسّعت في ما بعد دائرة الأصدقاء الضيّقة التي كنت أشاركها ترجماتي الشعريّة حصراً، فالشعر كان شغفنا وطريقنا، وبتشجيع من الصديق الراحل الشاعر جهاد هديب نشرت أولى ترجماتي في الملحق الثقافي لإحدى الصحف الأردنيّة، أمّا أول كتاب ترجمته، فكان كتاب النّاقذ والمفكر الفرنسيّ، البلغاريّ الأصل تزفيتان تودوروف "اللائ نظام العالمي الجديد"، وذلك باقتراح من الصديق الراحل الكاتب والنّاشر إلياس فركوح.

*

أجد نفسي في ترجمة الشّعر أكثر من الأجناس الأدبيّة الأخرى، وأفعل ذلك بروح من لا يفصل بين فعليّ القراءة والترجمة. فما من وسيلة أفضل من الترجمة لإنجاز قراءة عميقة للنصّ الأدبي وكشف أسرارهِ. غير أنني لا أنظر للشعر بوصفه منفصلاً عن بقية أشكال التعبير الأدبي والفكري. وأظنّ أنّ الحلول التي يقترحها المترجم لنقل نصّ شعريّ قادرة على المساعدة بفاعلية في ترجمة الرواية والفلسفة.

*

رغم كل ما قرأت من نظريات حول الترجمة الأدبية، فأنا مقتنع بأنها تهض

أساساً على ممارسة عملية وتجربة إبداعية هي أقرب إلى التماهي الوجداني والحدس. فثمّة جانب لا واعٍ في اختيار النصوص؛ غواية تتمثّل ربّما في الرغبة في تملّك نصّ الآخر وإعادة خلقه بلغتي. وقبل أن تكون الترجمة مهنة، هي عندي شغف وضرورة وجودية.

*

ربّما كان عمل المترجم أشبه بعمل الممثل، حيث يتمثّل الجانب الإبداعي في تحويل شخصية مكتوبة، كائنٍ على الورق، إلى شخصية من لحم ودم نابض بالحياة، تتمتع بالحضور والتأثير. فحين أترجم، يُفترض أن أبتكر المؤلّف الذي أترجمه، وأمنحه حياة جديدة، في ثقافة ولغة جديدتين، والنجاح في أداء هذه المهمة يحتاج قدراً عالياً من التقمّص والمعاشية والفهم والقراءة الوجدانية، وهنا يكمن سحر الترجمة الأدبية، فهي فنّ قبل أن تكون علماً. فكلّ نصّ يطرح على المترجم أسئلة جديدة ومختلفة، تتطلّب إجابات وحلولاً مبدعة، ولا يوجد هنا وصفات جاهزة أو قواعد محدّدة للترجمة. فإلى جانب الدقّة في نقل المعاني، والصّرامة في احترام الأسلوب، يؤدّي الحدس الشعريّ، والإحساس بالإيقاع، والقدرة على الابتكار، دوراً كبيراً في الحفاظ على روح النصّ وتأثيره الجماليّ.

*

المترجم أيضاً "كاتبٌ ظلّ"؛ ينفق وقته، وروحه في نشاطٍ يشبه رمي زجاجات في البحر، محمّلاً برسائل قد لا تصل، أو لعلّه مهربٌ ثقافي، لا يكاد يُلتفت إليه إلا حين يُقبض عليه متلبساً بالأخطاء، لكنّه في كل الأحوال كاتبٌ يؤلّف ترجماته وإن كان مقيّداً بالأصل.

*

أسأل أحياناً عمّا إذا كانت الترجمة قد أخذتني من كتابة الشّعر. صحيحٌ أنّ الترجمة تستأثر بجلّ وقتي وجهدي، لكنّي لا أرى أنّها أخذتني من الشّعر،

ولربّما كانت طريقة أخرى، مراوغة، لكتابته. لقد تعلّمت الكثير من ترجمة الشعر، وبتّ أكثر تطلباً في كتابته وقراءته. ولست أخفي أنّي وإن كنت قد نشرت مجموعتي الشعرية الأولى متأخراً نسبياً، قياساً بأبناء جيلي، إلا أنّي أشعر أحياناً أنّي تسرّعت. ما زلت أكتب، ليس كثيراً، لكنّي لا أتعجل النّشر.

*

ثمّة حالة فريدة لا أظنّها ستكرّر في تجربتي قارئاً ومترجماً، ألا وهي ترجمة قصائد الشاعر الغواتيماليّ، الهنديّ، أميرتو أكابال، إذ لم يحدث أن كان مؤلّف آخر قريباً إلى هذا الحدّ من روحي ووجداني وذائقتي. اكتشفت شعر أكابال في لحظة صعبة، بدأت فيها أفقد إيماني بالكتابة والكلمات، فأنقذني. كانت صدمة جماليّة ومعرفيّة كبرى، أعادتني إلى فتنة اللّغة بعد أن بدا لي الشعر مستحيلًا، وفتحت لي أبواب لغة جديدة وجدّدت إيماني بالكلمة. كنت قد وقعت بالصدّفة على قصيدة من ثلاثة أسطر هزّت كياني "في الكنائس، لا أسمع غير صلاة الأشجار، وقد صارت مقاعد". فشرعت أبحث عن نصوصه على الإنترنت، ثمّ حصلت على بعض كتبه، وجمعت كل ما وصلت له يداي. وهكذا رافقتني قصائد أكابال شهوراً عديدة، في ليلي ونهاري، قراءة ودرساً وترجمة.

*

خائنٌ وأمين!

لا أقارب الترجمة من خلال ثنائيّة الوفاء والخيانة، وأراها مضلّلة إلى حدّ بعيد. فالترجمة توسّط بين لغتين وثقافتين تحكمه اعتبارات وشروط عديدة أهمّها اختلاف النظامين اللغويّين، وهي تبدو مستحيلة إن كان المراد إنجاز نسخة طبق الأصل عن النصّ المترجم، لكنّها ممكنة إذا ما تقبلنا ما تنطوي عليه من خسارة وتخليّنا عن الرغبة في جعل القراء ينسون أن النسخة ليست الأصل. وقبول هذه الخسارة هو ما يجعل إعادة بناء النصّ

في اللغة المضيفة؛ بكلمات أخرى، وإيقاع آخر أمراً ممكناً، كروح تتخذ جسداً آخر ما إن تعبر إلى الضفّة الأخرى.

*

المترجم قارئ أولاً، وحين يترجم فإنّما يقدم قراءته وفهمه الذاتيين للنصّ. من بين قراءات أخرى محتملة، وإن سعى جاهداً للحدّ من هذه الذاتية، لذا فإنّه لا وجود لترجمة نهائية مطلقة، وإذا كان المترجم يخون بذلك النصّ الأصل، فهل تختلف خيانتته هذه عن خيانة قراء النصّ في لغته الأصلية، الذين يتباين ويتفاوت، بلا شك، فهمهم وتأويلهم لما يقرأون؟ الخيانة تحدث حين يتلاعب المترجم بالنصّ متعمّداً، بالحذف، والإضافة والتحريف لأسباب أيديولوجية، فيتحوّل مثلاً إلى رقيب.

*

ماذا أترجم ولن؟

من الطبيعي أن تتعدّد دوافع المترجمين الأدبيين، وأن تتباين المعايير والأسس التي يختارون على أساسها ما يترجمون من أعمال. وأمام ما تنتجه دور النّشر من إصدارات في مختلف حقول الأدب والفكر كلّ عام، تغدو مهمّة الاختيار شديدة الصعوبة. بالنسبة لي، أحاول جاهداً مقاومة إغراء الاستسلام لمعايير الرواج والشهرة والجوائز، كمحدّد أوحده للاختيار، وإغراء السهولة والبحث عما يقبل الترجمة مضموناً ولغة وأسلوباً. لهذا، أسعى عادةً إلى ارتياد فضاءات جديدة، باحثاً ومنقّباً عن الجميل والنافع، حريصاً ما أمكن على الموازنة بين ذائقتي الشخصية وبين الاحتياجات الثقافية العامة. أراهن دائماً على ذكاء القارئ الجاد والواعي، وأنحاز غالباً لهامشيّ المختلف، من دون التنازل عن معيار القيمة الجماليّة والمعرفيّة.

تجربة في الترجمة

الدكتورة آمال بشيري

ككاتبة رواية أعتبر نفسي قريبة من عالم الترجمة حتى إنني خضت بحذر، ومن باب التجريب لا غير، وعلى استحياء شديد، وبين فترات متقطعة ببعض محاولات، في ترجمة لبعض القصائد من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية بعدما أعجبت بها. وتبقى هذه المحاولات مجرد ذكرى طيبة لديّ لا أتردد في تكرارها، لكن قصتي الأكثر تأثيراً مع الترجمة هي تلك التي تمت فيها ترجمة نصوصي الروائية من اللغة العربية إلى الإسبانية كتجربة جريئة لدخول نصوصي إلى عالم الإبداع الأوروبي.

عندما صدرت روايتي الخامسة "آخر الكلام" الموازية لرواية الكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز: "ذاكرة غانياتي الحزينات" عن دار ميريت بالقاهرة سنة 2009، قررت أن أدخلها عالم الرواية الأوروبية بثقة وحماسة، وتحديداً عالم الرواية المكتوبة باللغة الإسبانية، وبعد جهود شخصية كلفتني الكثير من الوقت اتفقت مع الشاعر والمترجم المغربي المتمرس الدكتور مزوار الإدريسي الذي وافق على ترجمتها، بالاشتراك مع المستعربة الدكتورة ماريبل لاثارو، الأستاذة في كلية اللغات القديمة في جامعة غرناطة. وفعلاً تمت الترجمة على أكمل وجه، وتسلمت النسخة الإسبانية لروايتي بكل سعادة من دون أن أدرك أنني وقعت في فخ سوق النشر الأوروبي الذي يشترط على الكتاب أصحاب المبادرات الخاصة مثلي، شروطاً شبه تعجيزية لنشرها.

والحقيقة تقال إن المترجمة المستعربة ماريبل لاثارو بذلت مجهوداً كبيراً في

القارئ الأجنبي. تلك الرغبة التي تواجه بكل وضوح بعدم قبول سوق الترجمة والنشر الأجنبية - وتحديداً الأوروبية - لنصوصنا إذا لم تحظَ برعاية أي عَرَّاب أو مستعرب أو مستشرق، وإذا لم نقدم لها نصوصاً تناسب منظورها الإيديولوجي والسوسيولوجي الذي قد يتضارب مع مفاهيمنا المتعلقة بالحرية والهوية والجنس "الجندر" والسياسة.

البحث عن دار نشر معروفة تليق بالقيمة الإبداعية للرواية، حسب رأيها هي، وقد اقترحتها بكل تفاؤل في بداية الأمر على الدار الإسبانية المرموقة التي نشرت أولى روايات ماركيز وهي "لافاغوارا"، وهي دار نشر إسبانية تابعة لمجموعة "بريسا" تنشر الرواية وكتب الشباب والأطفال، تأسست في عام 1964 من قبل الكاتب كاميلو خوسيه سيلا، حيث نشرت بعض أعماله وأعمال العديد من المؤلفين في ذلك الوقت، وفي 1980 اشترتها دار مجموعة سانتيانا.

أتى رد تلك الدار المرموقة متردداً وتعجيزياً في الوقت نفسه، إذ ركزت لجنة القراءة لديها أولاً على "جندي" كامرأة تكتب الرواية، ثانياً على أصلي العربي وجنسيتي الجزائرية، وأخيراً على ديانتي كمسلمة، هذا ما دعاها تستنتج في حالة ما قبلت بنشرها أنها ستقوم بمغامرة غير مشجعة في النشر والتوزيع على مستوى سوق الكتاب في إسبانيا، ما جعلها تشرط حسب ما ذكرت ماريبال لاثارو أن يكتب لي ماركيز مقدمة الرواية تزكية من طرفه.

أمام هذا الشرط التعجيزي أدركت صعوبة دخول الكتاب العرب بمختلف أنواع إبداعهم إلى عالم الكتابة الأوروبية.

في المقابل؛ لم أتراجع، وزاد ذلك الشرط التعجيزي من حماسي، وقررت خوض التحدي، قضيت وقتاً طويلاً في البحث عن عنوان ماركيز حتى حصلت عليه، وكخطوة جريئة مني أرسلت له النسخة المترجمة لروايتي، وشرحت له موقف دار "لافاغوارا" منها، طالبة منه أن يقرأها لكي يقرر بعدها إذا أمكن أن يكتب لي المقدمة. وأتاني الرد سريعاً بالرفض لأن الروائي الكولومبي الشهير لم ولن يكتب أي مقدمة لنص كتبه أحد غيره.

أطرح هذه الذكريات هنا بعدما مرّ عليها أكثر من 10 سنوات، وهذا ليس من باب السرد فقط، وإنما أيضاً لإيضاح إشكالية جديدة لا بد من دراستها، و طرحها على طاولة المناقشات، والمتعلقة بالصعوبات التي نواجهها نحن ككتاب عرب نرغب في أن تتخطى نصوصنا الحدود الجغرافية لتصل إلى

تجربتي في الترجمة

الدكتور عبد الهادي سعدون

لست مع القائل إن الترجمة وظيفة، على الأقل هذا ما ينطبق على حالي. فالمترجم في وضعي قارئ مطلع ملمّ بأدب معين تغويه فكرة ترجمة الكتب والنصوص التي يجد فيها فائدة وأهمية للقارئ العربي. لذا لست بموظف إطلاقاً، ولا أعتقد أنني سأكون في يوم ما كذلك.

على أي حال فالمترجم العربي يكاد يقع في المعنى نفسه، فترجماتنا هي اختيارية عن تعلق واهتمام أكثر منها عن قصدية. من جانب آخر أنا من الذين يميلون للترجمة الآمنة الممكنة القابلة لسلطة التدخل والتغيير دون الإخلال بوحدة النص الأصلي المنقول إلى اللغة العربية. وهي معادلة صعبة بالطبع، ولكن الترجمة بحد ذاتها عملية شاقة تكاد تشبه الوجه الآخر المتخفي لعملية الإبداع الكتابي نفسها. أن تكون مؤلفاً كاتباً وبالوقت نفسه مترجماً، فهي نقطة بحدين ولكن لكل حد منها حيويته وجاذبيته. أنا مترجم مقلّ، أنتخب النصوص التي تروق لي، وهنا بالطبع تدخل الذائقة في هذا الاختيار، وهي مركزية في مثل حالي، إلا في مواقع قليلة جداً إن ترجمت نصوصاً لغرض معين.

لا أعرف حقاً هل كوني كاتباً ومترجماً في آن واحد يؤثر سلباً أو إيجاباً على عملية الاختيار؟ فهذا يمكن أن يراه الآخر أفضل مني، ولكن أستطيع القول إنني من خلال ترجمة نصوص منتخبة أشارك فيها بكل ثقلي ومكنتي المتاحة لنقله بالصورة التي ترضيني أولاً. وأعتقد أنها ستثير اهتمام القارئ ثانياً.

والعملية نفسها يمكن النظر لها بتأثير النص المترجم على قراءتي وكتاباتي.

عندما أخذ الأدباء المحدثون العرب فكرة الخيانة عند الحديث عن الترجمة، إنما توصلوا بها عن طريق خاطئ، وإن كان في المحصلة سيؤدي الغرض ذاته، وهو الحديث عن ثنائية (الخيانة . الأمانة) في النص المترجم. إذن هل هناك خيانة مختلفة؟ قطعاً سيكون الجواب: كلا. لكن هل الترجمة عملية آمنة تماماً، بالطبع لا، ولكن لماذا نورد هاتين المفردتين ما أن يتم الحديث عن الترجمة والنصوص المترجمة من لغة أجنبية إلى لغتنا العربية. وبالمثل ما يفعله الآخرون بترجماتهم من لغات أخرى إلى لغاتهم الأم. عندما أصبحنا نتحدث، خاصة في منشوراتنا المعاصرة، عن هذه الجملة السحرية، والمترجمة بدورها: "الترجمة خيانة للنص الأصلي" ، فإننا في الواقع استخدمنا تعبيراً شائعاً في اللغات الأوروبية، دون إدراك مغزاه، أقول هذا للذين لا يتقنون لغة أخرى غير العربية، وأمثالهم كثر وقد كتبوا في المسألة مقالات عديدة دون العودة للحديث عن اللعبة اللغوية نفسها التي أدت لهذا الاشتقاق، هذا دون الإخلال بمسألة البحث عن الأمانة في الحديث عن النصوص المترجمة، لأنها مسألة حيوية بقراءة النص الأصلي ومقارنته بالمترجم، ولا أقول مسألة قطعية حاسمة، لأننا في النهاية نترجم بأكبر قدرة من الوعي بالنص نفسه.

أجدني مهتماً هنا بالترجمة بوصفها كتابة ثنائية، مثل اهتمامي بالكتابة بوصفها ترجمة ذاتية مغايرة. من هنا أحاول وضع تعريفات خاصة بي للمفردتين "الترجمة" و"التأليف". أرى أن التأليف ترجمة عن نص ضائع، أو لا وجود له أصلاً قبل تدوينه، مثل نص متخيل. بينما الترجمة عملية إعادة تأليف أو كتابة عن مخطوط موجود أصلاً، يحتاج فقط إعادة النظر فيه عند نقله من لغته الأم إلى لغة المترجم نفسه، أي السعي لكتابة المخطوط الأصلي مرة أخرى، بكلمات متشابهة وإن كانت بلغة مختلفة. وبالمثل يمكننا توصيف التأليف بأنه حيازة قالب طيني بلا ملامح، وعليك أن تصنع منه شكلاً مقنعاً بأي هيئة ترتضيها لظالمًا ستكون صاحب هذا الشكل والمسؤول

عنه. بينما الترجمة تكمن في امتلاك القالب نفسه مع نماذج بارزة عليك تقليدها، أي تشكيل قطع القالب بما يماثلها، ولكن ليس بالضرورة أن تكون مطابقة لها تماماً. بالمسار نفسه أستذكر بورخيس عندما منح الكاتب المؤلف صفة الصانع بقصته الشهيرة تلك، أي الخالق لنصه، واضعاً إياه بمرتبه الفنان المتمكن من أدواته، إن المترجم سيكون بمرتبة أخرى في الحيز نفسه مع إضفاء صفة الحرفي onasetrA عليه، ولعله أكثر قرباً من هذا التعريف لأنها لا تنفي قطعاً منحه صفة المبدع لنصه المترجم أيضاً.

من هنا كذلك نرى أن العديد من المترجمين، خاصة العرب، يقعون في هذه الخانة من التعريف، أي يمتلكون شرط الكتابة. الإبداع ويمتهنون في الوقت ذاته الترجمة حرفة مساعدة. بالطبع دون أن ننسى التذكير بأن مترجمين عرباً يقفون بصفة مترجمين لا غير، ومع ذلك لم يقفوا بعد في مأزق المهنية الجافة التي وصل لها المترجم الأوروبي المحترف منذ سنين. وللدليل على هذا لا يزال المترجم العربي يعتبر ترجماته بمثابة نتاج شخصي له لإدراكه أهمية ذلك في وسط عربي يقل فيه أمثاله، بينما يكون المترجم الأوروبي وغيره قد تخلصوا من هذه الحساسية منذ زمن طويل، وأصبحت الترجمة لديهم بمثابة عمل وظيفي خالص.

من النماذج المقاربة لهدف الترجمة والكتابة المباشرة، أذكر هنا في الإسبانية نموذجين بارزين أحدهما قديم والآخر معاصر. ففي رائعة "دون كيخوت" يلجأ ثربانتيس للعبة الترجمة كحل مقنع أمام قارئه لذكر مصادر مغامرات الفارس وتابعه سانشو. هذا الانتحال المدهش، لاسيما في الجزء الثاني من الرواية، يجعل فيه مخطوطاً عربياً لشخص اسمه سيدي حامد بن الجيلي مصدر حكاياته المتعددة، إلى درجة أنه يسرد وقائع العثور على الوريقات وبحثه عن موريسكي يتقن اللغتين لينقل له وقائع ما لم يجده في أي مصدر إسباني. هذا المفتاح (ترجمة المخطوط) الذي هو في الوقت نفسه لعبة أدبية بليغة وسابقة لعصرها، جاءت لدواعٍ عديدة أهمها: الإيهام الذي جرى عليه في أغلب فصول روايته، وليمنح القارئ الحل، وله شخصياً الاستمرار

بكتابة الجزء الثاني بعد أن أعلن عن نهاية الرواية تقريباً في جزئها الأول. إذن مدخله كان البحث عن الفصول الأخرى وترجمتها، ومن ثم نقلها لنا كقراء. هذه النباهة ودرجة وعي ثريانتيس باللعبة الكتابية، أدخلت العديد من الدارسين في ما بعد، ومنهم باحثون معاصرون، في متاهة البحث الحقيقي عن مصدر "دون كيخوت" العربي. ومثل لعبة ثريانتيس، ما أقدم عليه كاتب إسباني معاصر هو ماكس أوب، عندما نشر أكثر من عمل في المجال نفسه. لعل أكثرها تداخلاً في الترجمة هو كتابه "مختارات من شعر قتلى حرب الأيام الستة". ولعله شط كثيراً بافتتانه باللعبة الأدبية إلى درجة أن وضع اسمه مترجماً ووضع اسم سيدة ساعدته بإتمام الترجمات. وفي الكتاب أيضاً يقدم شكره وامتنانه لأسماء أخرى ساعدته بإنجاز العمل. هذا التحايل الممكن واللعبة المنتحلة والتداخل بين الكتابة والترجمة نجد له نماذج أخرى في لغات عديدة حتماً.

من الإشارات الطريفة التي أريد ذكرها ما جرى مع بعض المترجمين (أتحدث عن الترجمات ما بين العربية والإسبانية فقط)، وهي إشارات قد صنعت ما يشبه إرثاً في البنية السردية العربية، حتى أصبح من مسلماتها. ففي أوائل الترجمات عن أدب الواقعية السحرية، ويحضرني هنا مثال أول ترجمة لرواية "مائة عام من العزلة" لماركيز. وهي ترجمة رائعة حقاً. فعندما يصل المترجم إلى ترجمة نوع من النباتات أو أسماء الحيوانات أو أحد المظاهر الأميركية اللاتينية، فإنه يلجأ لفتح قوسين معرّفاً بهذا الاسم أو تلك الدلالة وأحياناً يتركها بين شارحتين، حتى غدت عند العديد من القراء والكتّاب على حد سواء نهجاً كتابياً جديداً في النثر القصصي. وأتذكر أن كتاباً عربياً قد قلدوا هذا المنحى في نماذجهم القصصية، واتخذوا هذه البدعة كأنها شرط أو حاجة جديدة داخل النص، بينما هي في حقيقتها لم تكن سوى إيضاحات من المترجم الذي لم يكن متاحاً له في وقتها. حسب اعتقادي. معالجتها بهامش في ذيل الورقة.

وحالة أخرى ما جاء عليه مترجم نص لإيزابيل الليندي "إيفا لونا" والذي

عند وصوله لجزء خاص بوصف مظاهر عرس عربي شرقي، تلجأ الكاتبة لذكر أسماء بعض الأطباق والحلويات بأسمائها العربية الصريحة، فما كان من المترجم إلا أن حذفها بترجمته العربية دون الإشارة لها سوى بنقاط متتالية، ولعله قد فكر بأنها مسميات أميركية لاتينية غريبة وصعبة الترجمة. والحال تنطبق مع نموذج ترجمة كتاب قصصي لماركيز وهو بعنوانه الإسباني: *Doce cuentos peregrinos* التي تعني "12 قصة مدهشة" إذ حار أغلب مترجمي الكتاب بترجمة العنوان. هناك ثلاث ترجمات عربية للكتاب وقعت بيدي. والصعوبة تكمن في كلمة *Peregrinos* التي تعني حرفياً "حاج، مهاجر، مسافر"، فما كان من الثلاثة إلا أن ترجموا العنوان بما يتوافق مع معانيها السابقة أو حذفها للسهولة وابتكار عنوان آخر. بينما كان المخرج البسيط. الصعب في آن واحد، هو في اللجوء إلى القاموس الخاص بأدب الواقعية السحرية والتي يعرف الكلمة بأنها تعني: "مدهش أو ساحر". هذه هي كل المسألة.

من النماذج المقابلة التي واجهتني شخصياً أثناء العمل على ترجمة منتخبات من قصص التراث العربي الحسيّة "الإيروتيكية" إلى اللغة الإسبانية، فالمعروف أن قاموس مرادفات الأعضاء والهيئات ووصفاتها العلاجية وتدابيرها الشعبية والخرافية، هي من الوفرة والمرونة في القاموس اللفظي العربي ومحدوديتها في اللغة الإسبانية، وجمالية التوصيف في القصص هو ما يمنحها تجديديتها وطرافتها والبناء التخيلي على ضوءها. إن معضلة من هذا الشكل تضعك أمام حلين: إما البحث عن ابتكارات جديدة أو النحت وخلق التشابيه الممكنة، وهذا ما حاولته في أغلب الأحيان للحفاظ على روح النص، أو أن تقتصر على المتداول، وهو ما لجأت له في أضيق الحدود. كما لجأت بمساعدة مترجم كوبي للبحث عن مفردات إيروتيكية خفية في قاموس كوبا أو دول أميركا اللاتينية، ومنها خرجنا بمحصلة نافعة. ولكن الكتاب على أي حال خرج وكأنه نص معاصر، وهذه الحيلة التي اتخذتها في ترجمة النصوص المنتخبة إذ أوردت في المقدمة بأنها رؤية معاصرة لنصوص

تراثية قديمة.

بهذه النماذج وغيرها أريد أن أقول إن خيانات متعددة تجري على جسد النص المترجم، ولكنها خيانات لا بد منها، مثلما عليه الترجمة نفسها. هل يعني أن أغلب النصوص المترجمة ناقصة ولا تؤدي فعلها الكامل في النقل من لغة إلى أخرى، الجواب: نعم. ولكن هل كل ترجمة هي ترجمة، أيضاً: نعم. وهل كلها ضرورية وهل كلها لا بد منها وهل سنستمر فيها؟ بالطبع نعم. هذه الخيانات المحببة أصبحت جزءاً منا فأشبعنا بما يذكرنا بأسماء ونصوص وكتب وقصائد وملاحم وفتنازيا، ولا وجود لحيواتنا المعاصرة دونها. إن نية ترجمة نص تكفي بحد ذاتها، ولو كان النص متقن الترجمة سيكون نفعه أكثر التصاقاً ومتمعة، ولكن بما أننا تعلمنا من ترجمات جيدة، فقد تعلمنا أيضاً من ترجمات رديئة. الفعل الحقيقي أننا سنبقى نتذكر طيف الخيانة، ولكننا سنبتسم بنصف ابتسامة في خلواتنا الشخصية إزاء أي خيانة جديدة معتبرة، ونحن نمسد غلافها ونهم بتصفح وريقاتها.

لكل لغة خصوصيتها، حتى الميتة غير المتداولة منها، ولكن هذا لا يعني بالضرورة سلطة لغة على أخرى، بل أجد في كثير من الأحيان مداخلة وتناغماً وتشابكاً يثري اللغتين المنقول منها والمنقول إليها، بطبيعة الحال. مثلما أن اللغة العربية قديمة وثرية جداً، فالإسبانية بعمرها الذي لا يقل عن 1000 عام هي رصينة وغنية المفردات والمصطلحات. في الترجمة إلى العربية خلال أحيان عديدة تعترضك مشكلات في مفردات وتعابير ليس لها وجود أو استخدام في لغتنا، وبالتالي عليك العثور على مقابل لها، وتتأتى النجدة من خلال الاطلاع والقراءات الواسعة. فضلاً عن الموسوعات اللغوية المساعدة. أعتقد شخصياً أن المترجم بتراكم الخبرة يستعيز عن كل عارض ممكن بالبحث عن بدائل مناسبة، بعضها في متناول اليد وأخرى غيرها تحتاج للتركيز والبحث، بل وحتى اللعب اللغوي والأدبي.

إن المترجم شريك أساسي في إعادة كتابة النص المنقول، فمهمة المترجم،

في رأيي، هي إيجاد بدائل وحلول للنص المترجم، ولا أقول إن عليه إنشاء نص آخر بعيد عن الأصل، فالترجمة الحقيقية الوافية هي تلك التي تستفيد من الإمكانيات المتاحة كي لا تخل بروح النص وخصوصيته السرية المكتوبة بلغته.

من خبرتي في الترجمة المتبادلة بين اللغتين العربية والإسبانية، والتي بدأت منذ أكثر من 30 عاماً، قدمت خلالها ما لا يقل عن 40 كتاباً للقراء العرب، وما لا يقل عن 10 كتب للقراء الإسبان، فهي تجربة روحية كبرى، وتعاشق ذاتي مع ثقافتين ولغتين ومعينين كبيرين في الحياة والتفاهم مع الذات ومع الآخر، وإنما لو كانت فقط في هذا الجانب فهي جديرة بالتبجيل والتدوين والمشاركة. فما بالنا وهي تحيي وتوقد وتنعش وتزيد من الاستمرارية في التبادل والرقى البشري. الترجمة ليست نقلاً ما بين لغتين وحسب، بل هي معايشة هائلة للجمع ما بين ثقافتين ولغتين ومكونات متعددة يجمعها خيط إنساني متواصل من الصعب قطعه أو تذويبه أو تجاهله أو نسيانه.

المشاركون في الكتاب

وجامعة ميدلبيري في كاليفورنيا، وجامعة قاديش، وجامعة صوفيا في بلغاريا.

عضو لجنة التحكيم في جائزة المغرب للترجمة سنة 2015. عضو لجنة التحكيم العلمية في جائزة الشيخ حمد للترجمة، 2016. شارك في عدد كبير من المؤتمرات العلمية والمهرجانات الشعرية والمليقيات الأدبية العربية والعالمية. عضو اتحاد كُتّاب المغرب، وأمين المالية في فرع اتحاد كُتّاب المغرب في طنجة من 2007 حتى 2012.

صدرت له مؤلفات عدة، منها: "فكر الترجمة" (دراسة)، "مرثية الكتف البليل" (شعر)، "بين مابين" (شعر). وفي الترجمة صدر له أكثر من 20 كتاباً، من بينها: "أَنْ تأخذ النهارَ إلى البيت" شعر: جوردي فيرايونغا، "مختارات من قصائد بيثنت ألكسندري" (شعر)، "نار بيضاء وتقاييد" شعر: أندريس سانثيث روبينا، "رحلاتٌ عبر المغرب"، علي باي، "قوافٍ واعترافات شعرية" شعر وتأملات نقدية: غوستابو أدولفو بيكر، "كُونُ مُسْرَنَم" شعر: أنجل غارثيا لوبيث، "لكي نعيش هنا"، خوان غويتيسولو (مجموعة قصصية)، "أبو الهول، الضمادة، فيدرا" مسرحيات: ميغيل دي أونامونو، و"التانغو.. أربع محاضرات"، خورخي لويس بورخيس، و"الأعمال القصصية.. الجزء الأول"، بورخيس. كما شارك في تأليف وترجمة كتب عدة بالاشتراك مع آخرين.

وهو عضو مؤسس ومستشار في مكتب جمعية ملتي المتخيل المتوسطي، عضو اتحاد كُتّاب المغرب، عضو مؤسس لجمعية أصدقاء لوركا، في تطوان، عضو مؤسس لمندى مرصد طنجة طريفة، عضو في مكتب جمعية الصداقة والتعاون بين المغرب وأمريكا اللاتينية.



الدكتور مزوار الإدريسي

الدكتور مزوار الإدريسي، شاعر وباحث ومترجم وأستاذ جامعي من المغرب، وُلد في مدينة تطوان، عام 1963. يعمل أستاذاً في مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، بطنجة (جامعة عبد المالك السعدي). رئيس اتحاد كُتّاب وكاتبات الشمال بالمغرب، ورئيس جمعية ملتي الشعر الإيبرومغربي، في طنجة وأصيلة.

حاصل على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، بتخصص الفكر الأندلسي بين المناهج العربية والاستشراقية، جامعة عبد المالك السعدي في تطوان وحصل على درجة الأستاذية في العام 2020. تولّى مسؤوليات عدة، من بينها رئيس شعبة الترجمة: عربية- إسبانية- فرنسية، ومنسق لجنة البحث العلمي والتعاون، ورئيس مختبر البحث في الترجمة والإعلام والتواصل بين الثقافات بمدرسة الملك فهد العليا للترجمة. عضو اللجنة العلمية لمجلة "ترجمان"، وعضو هيئة تحرير مجلة "عيون السرد"، عضو بنية البحث في ملتي الدراسات المغربية والأندلسية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة عبد المالك السعدي. أستاذ زائر في جامعة غرناطة.



الدكتور هاتف جنابي

أركنساس الأمريكية، جائزة أفضل ديوان شعري لسنة 1991، عن ديوانه "القارات المتوحشة" في مهرجان الشعر العالمي في بولندا، جائزة جمعية الكتاب والنقاد والفنانين البولنديين في مجال الترجمة للعام 2003، جائزة فيتولد هوليفيتش البولندية للعام 2003، عن مجمل أعماله الأدبية، وجائزة "يوم الشعر العالمي" بالتعاون مع اليونسكو، وارسو، للعام 2005، ميدالية هوميروس العالمية في الشعر والفن، بروكسل، 2019، ووسام ألفريد كوفالكوفسكي في مجال الترجمة الفنية، اتحاد أدباء غرب بولندا، 2020.

صدرت له كتب عدة، من أبرزها: دراسة "المسرح العربي.. جذوره، تاريخه وتجاربه الطليعية"، وفي الشعر: "كتاب الشرق"، "أشعار محطمة"، "القارات المتوحشة"، "غبار الغزال"، "ملائكة الرحمة"، "بابل تبحث عن بابل"، مختارات شعرية، "فراديس أيائل وعساكر"، (أربعة دواوين شعرية في واحد) "ظهيرة عربية"، مختارات شعرية، "مراسيم الأرض والسماء"، قصائد باللغة البولندية، "رغبة بين غيمتين"، "الطريق الملكي"، قصيدة مركبة في 15 مشهداً بالعربية والبولندية، "ضيف"، "صمت"، و"الأعمال الشعرية".

يُعدّ، اليوم، المترجم الأكثر حضوراً للأدب البولندي إلى اللغة العربية. ترجم لأكثر من 75 شاعراً وكاتباً بولندياً في مجالات الشعر والقصة والنقد والفكر والمسرح، إضافة إلى ترجماته من اللغة العربية إلى البولندية. وقد أنجز عملاً موسوعياً، تمثل في "أنطولوجيا الشعر البولندي في خمسة قرون"، فضلاً عن ترجمة كثير من الكتب، من بينها "مختارات شعرية" فيسوافا شيمبورسكا، "قصائد ومقالات مختارة" تادئوش روزيفيتش، "مديح الطائر.. قصائد مختارة" تشيسواف ميوش، "نجوم الجنوب" زيغمنت كوموروفسكي، "مختارات شعرية ونثرية" زيغنيف هربرت، رواية "سولاريس" ستانيسواف لَم، و"أنشودة اللؤلؤة" تشيسواف ميوش.

الدكتور هاتف جنابي، شاعر وباحث ومترجم من العراق، مختص بحوار الثقافات. وأيضاً ناشط ثقافي وإعلامي. ولد في العراق. درس اللغات والدراسات المسرحية المقارنة، ويحمل درجة الدكتوراه في جامعة وارسو. عمل محاضراً للدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو منذ ثمانينات القرن الماضي حتى تفرغه الكامل للكتابة والبحث، في نهاية سبتمبر/ أيلول 2019. عضو في اتحاد الأدباء العراقيين، عضو نادي القلم البولندي، عضو في جمعية المستشرقين البولنديين. وكان أستاذاً زائراً في جامعة إنديانا الأمريكية.

ترجم قسم من أشعاره إلى مجموعة من اللغات من بينها: الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، البولندية، الإسبانية، التشيكية، السلوفاكية، الصينية، الروسية، الفارسية، الكردية، واليونانية. شارك في عدد كبير من المهرجات الشعرية والمؤتمرات الثقافية والأكاديمية، في مختلف دول العالم. وصدرت له مختارات شعرية باللغات: العربية، البولندية، الفرنسية، والإنجليزية، أحدثها مختارات شعرية ضخمة في الولايات المتحدة الأمريكية، 2022.

حاز جوائز عدة، منها: الجائزة الأولى للشعر العربي لسنة 1995، من جامعة

طالب الرفاعي، "نصف مواطن محترم" هاني نقشبندي، "أربعون عاماً في انتظار إيزابيل" سعيد خطيبي، "جمهورية كأنّ" علاء الأسواني، "أيام قرية المحسنة" عيسى حسن الياسري.

وترجمت في القصة القصيرة: "تفاصيل اليوم العادي" محمّد المسلاتي، و"الجدة صالحة" نجوى بن شتوان.

كما شاركت مع مترجمين آخرين في ترجمة "المعلقات لجيل الألفية.. قصائد كلاسيكية".



الدكتورة نومي فيرو

الدكتورة نومي فيرو، كاتبة ومترجمة ومستعربة من إسبانيا. درست اللغة العربية وآدابها والتاريخ واللغة الإسبانية وآدابها. وشاركت في دورة ترجمة مختصة باللغتين الإسبانية والعربية في مدرسة المترجمين في مدينة طليطلة الإسبانية. ونالت منحة دراسية من جامعة الكويت لدراسة اللغة العربية وآدابها. كما درست في المعهد الرسمي للغات، في مدينة أليكانتي، وجامعة أليكانتي، وجامعة سلامنكا.

صدر لها كتاب باللغة الإسبانية عن تجربتها في عدد من الدول العربية، بعنوان "من خلف الحجاب.. نظرة حميمة عن العالم العربي".

تعمل مترجمة أدبية مستقلة منذ العام 2012. عملت أستاذة للغة الإسبانية في معهد ثرانتيس في دمشق، وفي قسم الأدب الإسباني في جامعة دمشق، وفي جامعة طرابلس الليبية.

ترجمت من اللغة العربية إلى الإسبانية كتباً عدة، من بينها الروايات: "أيوب شاهين"، سالم آل تويّة، "الأيام الأخيرة في علاج"، محمد العريشية، "ملح" محمد الأصفر، "مذكرات كلب عراقي" و "تقرير عن السرقة" عبد الهادي سعدون، "البرتقالة والعقارب" طلعت شاهين، "سمر كلمات"

"جماليات الرفض في مسرح أميركا اللاتينية".

وفي الترجمة، صدرت له كتب عدة، منها: "رحلات علي باي العباسي (دومينغو باديا)، "طرائق أخرى للنظر إلى الماء" خوليو ياماثاريس، "حكايات الحمراء" ميغيل أنخيل غونثالث، "عرب البحر" للرحالة والمستشرق جوردي استيفا، رواية "قلب ناصع البياض" خافيير مارياس، مختارات من الشعر والقصة "حمامات بيضاء" روبين داريو، رواية "المرأة المسكونة" جيوكوندا بيللي، دراسة في المسرح الإسباني المعاصر "بين الأزمة والطليلة" أورسولا أزيك، دراسة "الدراما والزمن" خوسيه لويس غارثيا بارينتوس، رواية "الطوف الحجري" خوسيه ساراماغو، رواية "رجل عدن" كلارا خانيس، رواية "ذكريات" غابرييل غارسيا ماركيز.

رواية "أسرار حميمة" نوريا أمات، مسرحية "شراك القدر" أنطونيو بويرو بايخو، دراسة ومختارات "الشعر النسائي في أميركا اللاتينية" خايبي عمر بيليزير، "حجر النار، أو أسطورة مجنون ليلي" كلارا خانيس، "دفاتر العنف المقدس.. سرايفو والجزائر وفلسطين والشيشان" خوان غويتيسولو، رواية "ساحة الماس" ميرثي رودوريدا، رواية "المطر الأصفر" خوليو ياماثاريس، مختارات من الشعر الإسباني المعاصر "جيل ما بعد الحرب"، "فنون شعبية مصرية" (مجموعة مؤلفين)، وقصص قصيرة من أميركا اللاتينية بعنوان "كوب الحليب".



الدكتور طلعت شاهين

الدكتور طلعت شاهين كاتب ومترجم وإعلامي وأستاذ جامعي مواليد قرية أبنود بمحافظة قنا بجنوب مصر، عام 1949. عمل بالصحافة المصرية منذ عام 1974. هاجر إلى إسبانيا عام 1980، وعمل في المجال الاعلامي وكان مراسلاً لعدد من وسائل الاعلام العربية المهاجرة في أوروبا. انتقل إلى لندن وعمل رئيساً لقسم الثقافة والفنون بصحيفة "صوت الكويت"، ثم عاد إلى إسبانيا، وحصل على درجة الدكتوراه عام 1994، وواصل عمله في مجال الإعلام. وفي الفترة من العام 2004 إلى 2011 عمل أستاذاً بكلية الإعلام بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا في القاهرة، ليعود بعدها إلى العمل الإعلامي والثقافي في إسبانيا حيث يعمل حالياً محاضراً في عدد من الجامعات والمؤسسات العلمية في إسبانيا وأميركا اللاتينية.

له إسهامات كبيرة في مجال الترجمة من اللغة الإسبانية إلى العربية، ويُعدّ من أوائل من ترجموا للكاتب غابرييل غارسيا ماركيز، إذ ترجم روايته "حكاية إيرنديرا البريئة"، ومذكرات ماركيز تحت عنوان "أن تعيش لتحكي".

صدر له في الشعر: "تتعري الأشجار من عصافيرها"، "أغنيات حب للأرض"، وباللغتين العربية والإسبانية صدر له الديوانان "كتاب العشق والدم" و"أبجدية العشق". كما صدرت له رواية "البرتقالة والعقارب"، ودراسة

صدر له في الترجمة ما يزيد على 20 كتاباً في الشعر والرواية والنقد والعلوم الإنسانيّة منها: "اللانظام العالمي الجديد" تزفيتان تودوروف، "طردت اسمك من بالي" أمبرتو أكابال، "أصوات" أنطونيو بورشيا، "أساتذة اليأس.. النزعة العدمية في الأدب الأوروبي" نانسي هيوستن، "رافيل" جان إشنوز، "تخيّل الواقعي.. نحو نظرية جديدة للدراما في التعليم" ديفيد ديفيس، "وسادة من عشب" ناتسومي سوسيكي، "طيران ليلي" أنطوان دو سانت إكزوبيري، "لا تنس أن تعيش.. غوته وتقليد التمارين الروحية" بيير آدو، "الغريان فجر السماء" ألكسندر رومانس، و"كمثل شجرة تسقط من ثمرة" روبرتو خواروس.



الدكتور وليد السويدي

الدكتورة وليد السويدي، شاعر ومترجم من الأردن لعائلة مهجرة من فلسطين إثر الاحتلال الإسرائيلي. وُلِد في قرية الجفتلك في أريحا بفلسطين عام 1967. حصل على بكالوريوس في اللغات الحديثة من جامعة اليرموك، عام 1989، وشهادة الدراسات المعمّقة في الأدب الفرنسي والمقارن من جامعة فرانش كونتية، 1992. عمل أستاذاً للأدب الفرنسي في جامعة اليرموك من العام 1996 إلى 2008، ثم انتقل للعمل ملحقاً صحافياً في السفارة الفرنسية في عمّان.

أصدر مجموعته الشعرية "أجنحة بيضاء لليأس" عام 2006. ونشرت قصائده له في ثلاث مختارات شعرية فرنسية، وضمن مشروع "كتاب في جريدة"؛ في العدد الذي خصّص للشعر في الأردن وفلسطين في الربع الأخير من القرن العشرين.

شارك في مهرجانات شعرية عربية ودولية مثل مهرجان جرش الشعري، ومهرجان خان الفنون، ومهرجان "أصوات حيّة.. من المتوسط إلى المتوسط" في مدينتي لوديف وسيت في جنوب فرنسا، ومهرجان طنطا الدولي للشعر في مصر. كما شارك في مؤتمرات وندوات حول الترجمة الأدبية في دول عدة.

"حكمة واحدة وألف جنون" باللغة الفرنسية.

ومن أعمالها الروائية: "سفر الخطايا"، "فتنة الماء"، "العالم ليس بخير"،
"آخر الكلام"، "لا تصدق ما يقال"، و"خفافيش بيكاسو".

شاركت في العديد من المهرجانات الشعرية والملتقيات والمؤتمرات الثقافية
العربية والدولية، من بينها مؤتمر كاتبات العالم، في المغرب 2018، مهرجان
شعراء مايو في إسبانيا 2019، المهرجان المتوسطي للشعر في مدينة المضيق
المغربية 2022، ومهرجان شعراء العالم في سان كريستوبال في المكسيك
2022.



الدكتورة آمال بشيري

الدكتورة آمال بشيري، شاعرة وروائية ومترجمة وأكاديمية من الجزائر،
تعيش في الإمارات. حاصلة على درجة الدكتوراه في الدراسات العليا
المتخصصة في العلاقات الدولية والدبلوماسية، وبكالوريوس العلوم
السياسية والعلاقات الدولية. عملت أستاذة في كلية الإعلام وعلوم الاتصال
بجامعة الجزيرة في دبي، ومدرسة معتمدة في مجال العلاقات الدولية لدى
المنظمة العربية للتنمية الإدارية، جامعة الدول العربية، فرع الإمارات.
كما عملت في الصحافة، محررة في مجلة "كل الأسرة" ومجلة "الرافد" في
الشارقة، ومنسقة برامج في تلفزيون دبي، وصحافية مترجمة في القسم
العربي الفرنسي، بوكالة الأنباء الصينية "شينخوا" في الجزائر، وصحافية
ومترجمة في مجلة "الكوريري دي أفريكانو" الإيطالية، مكتب الجزائر،
ومكتب روما. وعملت في إدارة قسم التحرير والترجمة ووضع الخطط
الاستراتيجية والنشاط التشغيلي، في دبي. وعملت مستشارة إعلامية لدى
وزير التجهيز والتهيئة العمرانية في الجزائر.

متفرغة للكتابة الإبداعية في الرواية والشعر والمقالات والدراسات
الثقافية.

من إصداراتها الشعرية: "جزائري الممزقة" باللغتين الفرنسية والإيطالية.

وأميركا اللاتينية، مثل ثربانتيس، بورخيس، دون خوان مانويل، أنطونيو ماتشادو، رامون خمينث، لوركا، ألبرتي، خابير مارياس، أنخل غيندا.

كما نقل من العربية إلى الإسبانية مختارات شعرية عربية معاصرة في الأعوام 2003، 2006، 2008 و2018، ومنتخبات شعرية كلاسيكية في العامين 2021 و2022.

من بين كتبه الشعرية والروائية: "اليوم يرتدي بدلة ملطخة بالأحمر" 1996، "تأطير الضحك" 1998، "انتحالات عائلة" 2002، "دائماً" 2009، "حقول الغريب" 2010، "مذكرات كلب عراقي" 2012، "توستالا" 2014، "تقرير عن السرقة" 2020، و"متزه الحريم" 2022.



الدكتور عبد الهادي سعدون

الدكتور عبد الهادي سعدون، شاعر وروائي ومترجم وأكاديمي وناشر من العراق، من مواليد بغداد 1968. يقيم في إسبانيا منذ عام 1993، ويعمل حالياً أستاذاً للغة العربية وآدابها في جامعة مدريد المركزية. حصل على درجة الدكتوراه في الآداب والفلسفة من جامعة مدريد.

يدير دار نشر "ألفالفا" للأدب العربي باللغة الإسبانية منذ عام 2007، ويشرف على سلسلة "آداب عربية" في دار النشر الإسبانية "بيربوم" منذ عام 2015. كما يدير مهرجان فبراير الشعري العالمي في مدريد، منذ العام 2016.

حاز عام 2009، جائزة أنطونيو ماتشادو العالمية في إسبانيا، للإبداع الأدبي عن كتابه الشعري "دائماً"، وجائزة مدينة سلمنكا عام 2016 عن مجمل أعماله الأدبية، وجائزة صندوق الشعر العالمي في مدريد 2016، وجائزة التبادل الثقافي من الملتقى العربي الإسباني عام 2018. كما حصل على جائزتين عربيتين في قصة الأطفال ورواية الخيال العلمي عامي 1997 و2014.

نقل من اللغة الإسبانية إلى العربية أكثر من 30 كتاباً لأهم أدباء إسبانيا

متابعة ترتيبات ندوة "قراءة الأبجديات"
في معرض المشاركة الدولي للكتاب: نعمة الناجي